

نتيجة
مسابقة البحوث
حقيقة الفرقة الناجية
شهر شعبان بين السنة والبدعة
مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
ALTAWHEED
العدد ٤٤٠ - السنة السابعة والثلاثون - شعبان ١٤٢٩هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
هوان الأمة بين
ضياع الحقيقة
وحقيقة الضياع
خوف المؤمنين من رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

السنة السابعة والثلاثون

العدد ٤٤٠ شعبان ١٤٢٩ هـ

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦



العلم والعلماء

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه - الناس ثلاثة: عالمٌ رباني، ومتعلمٌ على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزول بزواله.

محبة العلم دين يُدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكومٌ عليه.

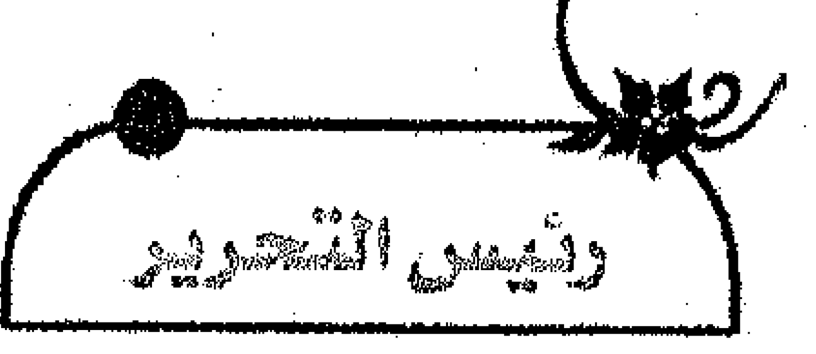
مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

قالوا: لا يكون العالم عالمًا حتى تكون فيه ثلاث خصال: لا يحتقر من دونه، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ على العلم ثمنًا، وقالوا: لا يكون العالم ربانيًا حتى يجمع ثلاث خصال: أن يتعلم العلم، ويعمل به، ويعلمه الناس، وقالوا: رأس العلم الخوف من الله تعالى، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨) وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)

اللهم علمنا، واجعلنا هداة مهتدين.

وصلى الله على مُعلم الناس الخير.

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية



رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

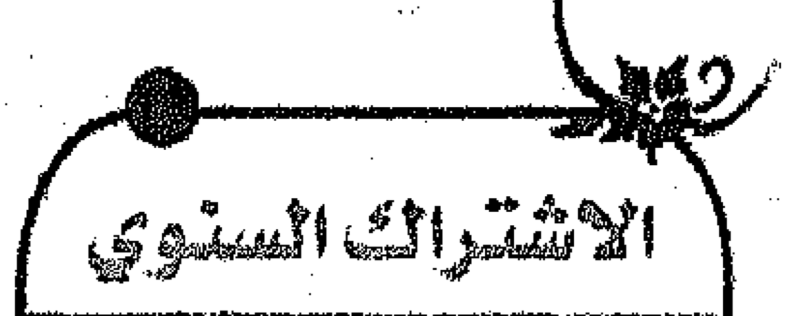
مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط



في هذا العدد

م دار "الجمهورية" للصحافة

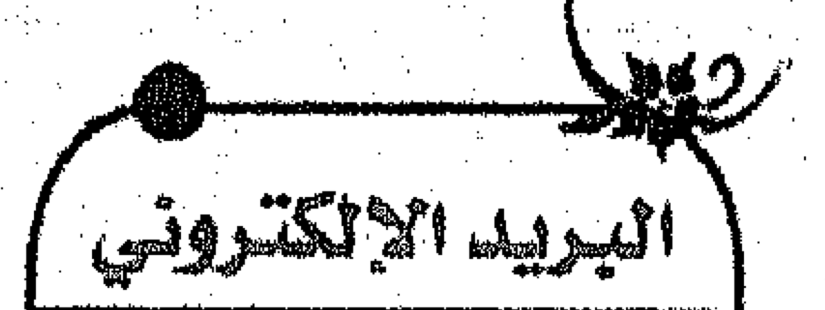


ثمن النسخة

مصر ١٥٠قرشاً ، السعودية ٦ريالات ، الإمارات ٦دراهم ، الكويت ٥٠٠فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠فلس ، قطر ٦ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار ، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠دولارا أو ٧٥ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



البريد الإلكتروني

المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM



خوف المؤمنين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنهم يريدون منا في الخطاب الدعوي الجديد ألا نذكر الناس بالخوف وأن نكتفي بأحاديث الرجاء وكان الخوف قد أصاب الناس باليأس والقنوط وهل جرأ الناس على المعاصي إلا قلة الخوف من الله عز وجل؟

الخوف من الله من أعلى مراتب الإيمان، ومن ضرورات تحقيقه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢- ٤]، ويقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النّار، لأنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إن ربنا لغفور شكور﴾ [فاطر: ٣٤]، وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنّة، لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦-٢٨].

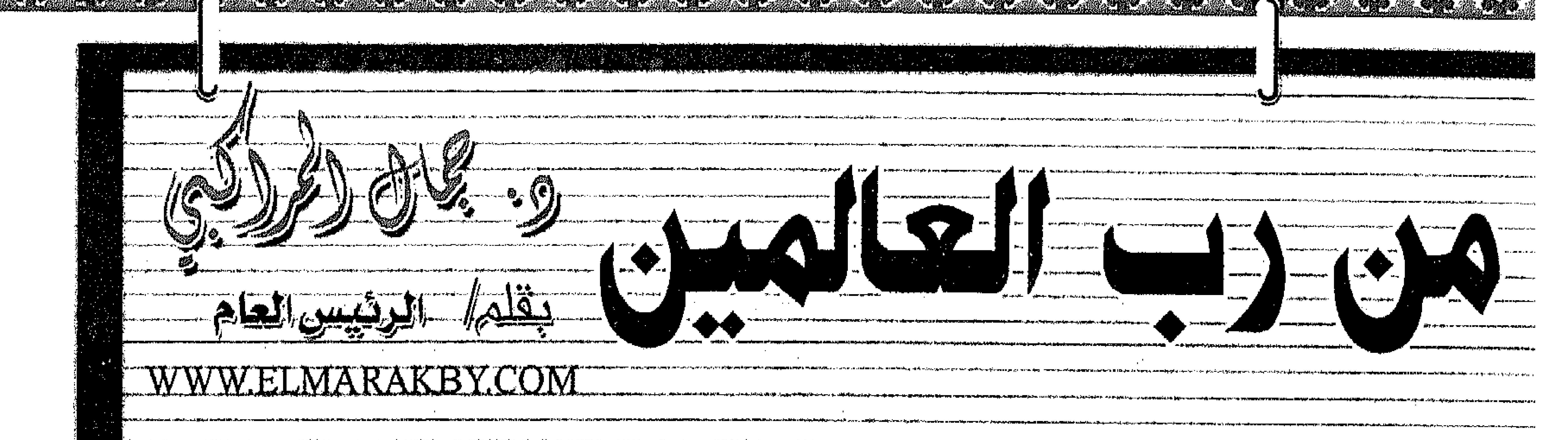
والخوف المحمود تارة يتعلّق بالمخوف ذاته ؛ كخوف مقام الربّ أو عذابه، وتارة يتعلّق بوسائل المخوف ؛ كخوف ردّ العمل، أو الوقوع في الموبقات ؛ قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠]، وقال تعالى ﴿يوفون بالنذر وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

روى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: لا يَا ابنة الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ أولئك الذين يسارعون في الخيرات» صححه الألباني.

والإشفاق رقة الخوف وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة فإنها ألطف الرحمة وأرقها ولهذا قال صاحب المنازل: والإشفاق: دوام الحزن مقرونا بالترحم وهو على ثلاث درجات الأولى: إشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد أي تسرع وتذهب إلى طريق الهوى والعصيان ومعاندة العبودية، وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع أي يخاف على عمله أن يكون من الأعمال التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهي الأعمال التي كانت لغير الله وعلى غير أمره وسنة رسوله ويخاف أيضا أن يضيع عمله في المستقبل إما بتركه وإما بمعاص تفرقه وتحبطه فيذهب ضائعا ويكون حال صاحبه كالحال التي قال الله تعالى عن أصحابها: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للصحابة رضي الله عنهم فيمن ترون هذه الآية نزلت فقالوا: الله أعلم فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال: يا ابن أخي قل ولا تحقرن نفسك قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل قال عمر: أي عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله فبعث الله إليه الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق جميع أعماله. [مدارج السالكين- ج ١/ص ٥١٩].

قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم إن المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا. وفي صحيح البخاري في كتاب الإيمان، بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، قال: وَقَالَ



إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلاَّ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِه، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ. وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ. وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. وفي صحيح مسلم- في كتاب التوبة- بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ وَالاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا. وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قَالَ- وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ- لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ، قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ # عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

فانظر رحمك الله كيف كان خوف أصحاب رسول الله من النفاق مع ما هم فيه من الدرجة العالية الرفيعة، حتى يتهم حنظلة نفسه بالنفاق لما يرى تغير حاله من حال الذكر وحضور القلب إلى حال الغفلة والانشغال بالدنيا مع انه شغل مباح ويستطيع المؤمن أن يحوله بالنية الصادقة الخالصة إلى طاعة يثاب عليها وقد قال رسول الله لسعد بن أبي وقاص: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك، والصدِّيق يقول: إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، والفاروق عمر يخاف النفاق على نفسه ويسأل حذيفة بن اليمان هل سماني لك رسول الله، وسائر أصحاب النبي ﷺ يخافون النفاق.

ثمرات الخوف:

إنّ للخوف من الله ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا:

فالخوف من الله أولاً من أسباب التمكين في الأرض، وزيادة الإيمان والطمأنينة، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤]، إذاً الخوف من الله يؤدي إلى التمكين في الأرض والانتصار على الأعداء وأن يهلك الله عدوهم ويخزيهم ويورث المؤمنين أرضهم وديارهم.ولما كان أصحاب محمد أكثر الناس خوفا فتح الله عليهم مشارق الأرض ومغاربها وفتح الله بهم البلاد وقلوب العباد.

والخوف من الله ثانياً يبعث على العمل الصالح والإخلاص فيه وعدم طلب المقابل في الدنيا فلا ينقص الأجر في الآخرة قال تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٧-١١]

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور ٣٦-٣٧]، أي تضطرب وتتقلب وهذا هو الذي دفعهم للعمل، يريدون النجاة ويحذرون الهلاك ويخافون سوء الحساب.

وأمّا في الآخرة:

فأولاً: الخوف من الله عز وجل يجعل الإنسان في ظل العرش يوم القيامة، ويحول بينه وبين النار:

ذكر النبي ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله»، «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»، فالخشية الموجبة لدمع العين تؤدي إلى أن النار لا تمس

العين يوم القيامة. وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله. رواه الترمذي وحسنه، وقال رسول الله ﷺ: لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع. رواه الترمذي وقال حسن صحيح

ثانياً: الخوف من الله من أسباب المغفرة:

روى البخاري في الصحيح عن حذيفة عن النبي ﷺ أن رجلا كان فيمن قبلنا فقال لبنيه لما حضره الموت: أي أب كنت لكم؟قالوا: خير أب، قال: فإني لم أعمل خيراً قط فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا فجمعه الله كما كان، فقال: لم فعلت ذلك ؟ قال:من مخافتك أو قال من خشيتك،فغفر الله له فتلقاه برحمته.. !!، وعذره الله بجهله وشفع له خوفه من ربه وإلا فان الذي ينكر البعث كافر.والكافر لا يغفر الله له

ثالثاً: الخوف من الله يقودك إلى الجنة قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

والنبي ﷺ يقول: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» رواه الترمذي وقال حديث حسن. أي الذي يخاف من إغارة العدو وقت السحر يسير من أول الليل فيبلغ المنزل والمأمن والمطلب، وهذا مثل ضربه الرسول ﷺ لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه والنفس الأمارة بالسوء والأماني الكاذبة وأعوان إبليس يترصدونه ويتربصون به، فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده وممن قطع الطريق عليه،حتى يبلغ الجنة سلعة الله الغالية التي من دخلها كان من الآمنين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال ابن القيم: فالخوف ليس مقصوداً لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

رابعاً: الخوف من الله في الدنيا يرفع الخوف عن الخائف يوم القيامة: ولهذا تاتي الملائكة لتبشر المؤمنين عند الموت لا تخافوا ولا تحزنوا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال ﷺ: قال الله تعالى: «وعزتي وجلالي، لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة» رواه ابن حبان في صحيحه.

خوف النبي ﷺ:

لقد كان النبي ﷺ أعظم الناس خوفاً وأشدهم لله خشية وهو الذي يقول: تعلمون أني اتقاكم لله وأشدكم له خشية، وكان يقول في دعائه: اللهم وأسالك خشيتك في الغيب والشهادة، ويقول: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك.

جلس النبي ﷺ على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: «يا إخواني لمثل هذا فأعدوا» عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». رواه البخاري.

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ «يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَزِعًا، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ وَقَالَ «هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ».

وفي رواية فَقَالَ- ﷺ- «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ. قَالَ- ﷺ- «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «بِكُفْرِهِنَّ». قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».

أقسام الخوف:

أولاً: خوف الهيبة والإجلال والتعظيم وهذا هو خوف النبي وخوف النبيين والصديقين.

قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً».

ثانياً: خوف العقوبة:

وهذا هو خوف المذنبين التائبين وهو الخوف الذي يصح به الإيمان وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة فالخوف مسبوق بالشعور والعلم ومحال خوف الإنسان مما لا شعور له به وله متعلقان أحدهما: نفس

المكروه المحذور وقوعه والثاني: السبب والطريق المفضي إليه فعلى قدر شعوره بإفضاء السبب إلى المخوف وبقدر المخوف: يكون خوفه وما نقص من شعوره بأحد هذين نقص من خوفه بحسبه فمن لم يعتقد أن سبب كذا يفضي إلى محذور كذا: لم يخف من ذلك السبب ومن اعتقد أنه يفضي إلى مكروه ما ولم يعرف قدره: لم يخف منه ذلك الخوف فإذا عرف قدر المخوف وتيقن إفضاء السبب إليه: حصل له الخوف هذا معنى تولده من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة.

ثالثًا: خوف المكر وخوف حبوط الأعمال والخوف من النفاق وهو خوف الصالحين المشفقين.

رابعاً: خوف السر وهو الخوف الشركي وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما لا يقدر عليه إلاّ الله سواءً اعتقد أنّ ذلك على سبيل الكرامة أو الاستقلال. وهذا المعنى هو الّذي يعتقده المشركون في آلهتهم ؛ ولهذا كانوا يخافونها ويخوّفون بها أولياء الرّحمن، قال تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [الزّمر: ٣٦]، وقال- حكاية عن قوم هود-: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]، وقد ورث هذا الشّرك كثيرٌ من غلاة الشّيعة والصوفيّة وغيرهم.

خامساً: الخوف المحرم وهو ترك بعض الواجبات خوفًا من النّاس ؛ كترك ما يجب من الجهاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فهذا ممّا دون الشّرك من المحرّمات، وهو الّذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ؛ أي يخوفكم بأوليائه ؛ لئلا تجاهدوهم، ولا تأمروهم بمعروف ولا تنهوهم عن منكر.

سادساً: الخوف الطبيعي مثل الخوف من الحيوان المفترس والحاكم الظالم وهذا لا يلام الإنسان عليه ولكن المؤمن يعلم يقينا أن النفع والضر بيد الله فيكون شعاره.. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

الفرق بين الخوف والخشية:

الخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة وقال النبي ﷺ: تعلمون أني أتقاكم لله وأشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك: له حالتان إحداهما: حركة للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية ومنه: انخشى الشيء وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال النبي: إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية وفى رواية خوفا وقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى.

فصاحب الخوف: يلتجىء إلى الهرب والإمساك وصاحب الخشية: يلتجىء إلى الاعتصام بالعلم ومثلهما مثل من لا علم له بالطب ومثل الطبيب الحاذق فالأول يلتجىء إلى الحمية والهرب والطبيب يلتجىء إلى معرفته بالأدوية والأدواء.

وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز و جل فإنك إذ خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [فاطر:٥٠].

أسيـر الخطايا عند بابـك واقـف	علـى وجلٍ ممًا به أنــت عارف
يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبهـا	ويرجوك فيها فهو راجٍ وخـائف
فمن ذا الّذي يرجو سواك ويتّقـي	ومالك من فصل القضاء مخـالف
فيا سيّدي لا تخزني في صحيفتي	إذا نشرت يوم الحساب الصّحـائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما	يصدُّ ذوو ودّي ويجفـو المـؤالف

وقال أبو العتاهية:

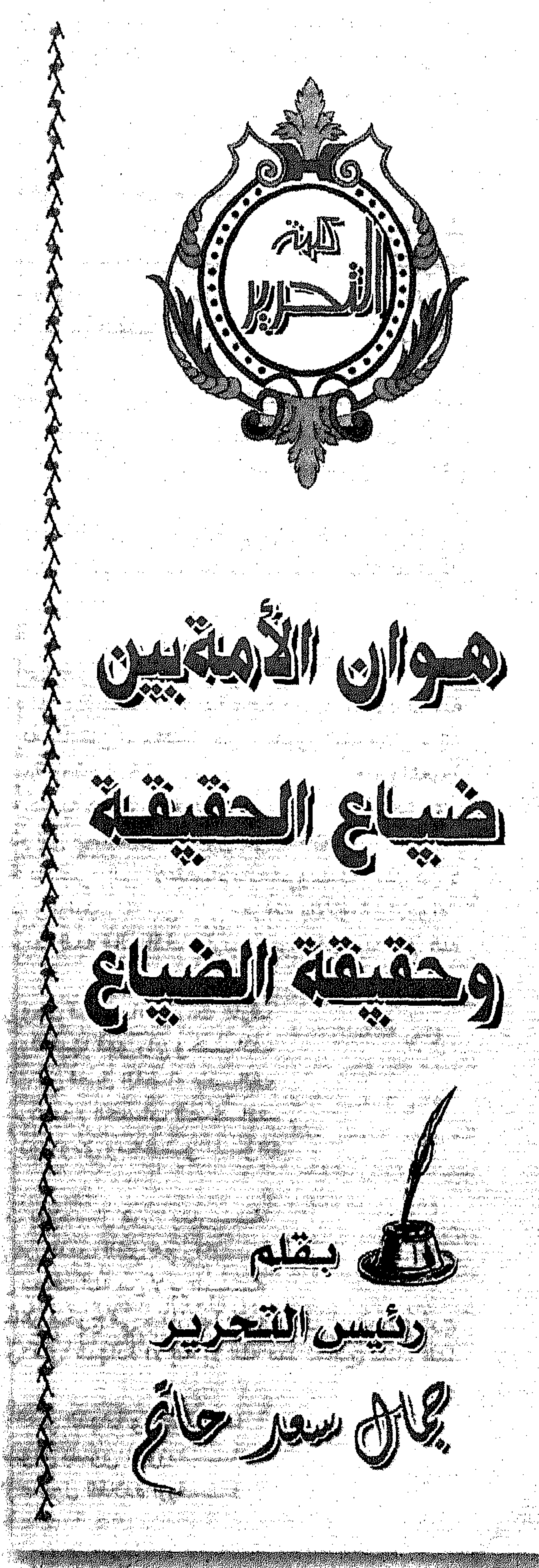
إذا مـا اتّقى الله امرؤٌ لان جانبه	وقارب بالإحسان من لا يقاربـه
يقول الفتى أرجو وأرجو وما لـه	نزوعٌ عن الذّنب الذي هو راكبـه
ألا ليس يرجو الله من لا يخافـه	وليس يخاف الله من لا يراقبـه

وعن أبي موسى التميمي، قال: توفيت النّوار امرأة الفرزدق الشاعر فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن البصري، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة ألاّ إله إلاّ الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم يعـافني	أشدَّ من القبر التهاباً وأضيقـا
إذا جاءني يوم القيامة قائـدٌ	عنيفٌ وسوّاقٌ يسوق الفرزدقـا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى	إلى النار مغلول القلادة أزرقـا

قال: فبكى وأبكى.

نسأل الله العافية ونعوذ به من الخذلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.. وبعد:

فأحوال الأمم تتقلب في أطوار وأطباق، ما بين عز وذلة، وكثرة وقلة، وغنىً وفقر، وعلم وصناعة، وجهل وإضاعة، والأمة الواعية مهما عانت من ضراء، وعالجت من بلاء، وكابدت من كيد الأعداء، فإنها سرعان ما تُفيق من غفلتها، وتصحو من رقدتها.

والأمة الإسلامية اليوم تعيش حروبًا ثائرة وشرورًا متطايرة، تشتت نظامها، حروبًا قذرة، يقودها أقوامٌ كفرةٌ فجرة، لا يرقبون في أمتنا إلاً ولا ذمة.

ومع هوان الأمة وضياع الحقيقة تتكسَّرُ آمال المسلمين على أعتاب الفتن والمؤامرات من أعداء الأمة، بين تفريط وإفراط، وتخاذل وانكسار، وضعفٍ ودمار.

وبالأمس القريب تمرُّ أمام أعيننا صورة مريرة.. لرئيس دولة فلسطين يُجَوَّعُ ويُحَاصَر على مرأى ومسمع من العالم أجمع، دون أن يُحَرِّكَ أحدٌ ساكنًا، وكذلك الرئيس العراقي يُسْجَنُ ويُذَلُّ ثم يُقتل أمام الدنيا كلها، واليوم وفي صورة أخرى مختلفة في الآداء مع ثبات الهدف، عبر الاتهام الخبيث من «أوكامبو» المدعي العام للمحكمة الجنائية الأمريكية.. عفوًا أقصد الدولية؛ باعتقال رئيس مسلم لدولةٍ مسلمة من أدعياء الحرية المدافعين عن مصالحهم في دارفور السودانية!!

دارفور.. والمؤامرة الدولية على السودان!!

ومع هوان الأمة وضياع الحقيقة، تعاودُ أمريكا بوجهها القبيح في تحالفها الخبيث مع دولة اليهود مخططات الحقد ضد كل بُقْعة مسلمة.

وجاء الدور هذه المرة على السودان، من خلال تصعيد أزمة دارفور «المُخْتَلقة» من أمريكا والغرب، والمطالبة عبر المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية باعتقال الرئيس البشير ونخبة من أعوانه، كخطوة أولى لتحقيق المخططات الغربية، والتي ستلحق بكلّ المعادين للسياسة الأمريكية في المنطقة، وتأتي الخطة التي أُعدَّت بشأن السودان واعتمدها الرئيس الأمريكي «جورج بوش» قبل حربه الظالمة ضد العراق، والتي أعدَّها الأمريكي «جون مارسيلي»، والتي أوضح فيها أنه إذا تحقق الانتصار الأمريكي العسكري في العراق، وتمت إزاحة صدام عن السلطة، فإن الأوضاع الأمنية في العراق ستبقى مضطربة لسنوات، وأن هذا الاضطراب سوف ينتقل للعديد من الدول المجاورة، وأن الجماعات «الإرهابية» سوف تنتشر في العراق ودول الجوار، وهو ما سيؤدي إلى المزيد من التعقيدات الأمنية في نقل البترول الأوسطي إلى الأراضي الأمريكية، وفي نفس الوقت أثار المخطط إلى اكتشاف الثروة البترولية الجديدة في السودان يجعلنا نعيد النظر في ترتيب الأوضاع في

السودان، ووفق الخطة الأمريكية، فإن الهدف هو وضع الحكومة السودانية في مأزق حقيقي يسمح بالتدخل العسكري في السودان، وحين ظهرت أزمة دارفور كانت واشنطون تُعدُّ بالفعل لإنشاء خط أنابيب جديد يمتد عبر البحر الأحمر من «يَنْبُعُ» وإحدى المناطق اليمنية، لكي يأتي هذا الخط مُحَملاً ببترول السعودية ودول الخليج، ويتصل في نقطة ما ببترول العراق، ثم تتم الاستفادة من بترول السودان عبر امتداد الخط إلى دارفور، على أن يمتد الخط ليمر في الأراضي التشادية، وعبر الدول الإفريقية المجاورة حتى يصل في نقطة ما للاتصال المباشر بالمملكة المغربية إلى المحيط الأطلنطي والدول الأوروبية.

ولتحقيق هذه المخططات راحت العديد من الجهات الأجنبية التابعة للولايات المتحدة وأجهزة الـ «CIA» والأمن القومي الأمريكي تُسخر إمكاناتها من خلال أموالها واتصالاتها؛ لكي تضمن ولاء عدة قبائل في دارفور وفقًا لرؤية الأمن القومي الأمريكي الذي أعدَّ ورقة رئيسية في هذا الصدد أشار فيها إلى أن الأوضاع ستكون في السودان أيسر كثيرًا من الأوضاع في العراق ؛ لأنه بمجرد توفير الأموال والاحتياجات الأساسية لأهالي دارفور ستتحول قطاعات منهم إلى الولاء للولايات المتحدة، وكان هناك تركيز على ولاية جنوب دارفور، حيث اتجهت تلك الجهات للتركيز بشكل أخص على قبائل «الفور- الداجو- الزغاوة»، وحاولت المخابرات الأمريكية أن تنشئ علاقات عمل مع بعض أفراد هذه القبائل.

وفي ضوء هذه التحركات بدأت تتشكل في منطقة دارفور مجموعات مسلحة لمواجهة التدخل الأجنبي في شئون الولاية خاصة بعد أن بدأت تلك الجهات في استغلال الأوضاع الإنسانية هناك للتسلل إليها، وتردد في وقت مُبكّر هناك أن محاولات إسرائيلية للتسلل إلى دارفور بهدف السيطرة على بعض الممرات الاستراتيجية يتم تنفيذها!!

التآمر الأمريكي الإسرائيلي!!

وفي ظل الهوان والضعف وضياع الحقيقة تستمر المؤامرة الأمريكية الإسرائيلية من خلال تعاون الـ « CIA» مع الموساد الإسرائيلي، وقيام خطتهم على تصوير النزاع على أنه صراع عربي أفريقي، وأن يتم الترويج لهذا المفهوم تحديدًا في منطقة دارفور، وقررت بعض القبائل أن تتحالف مع الأمريكان في مقابل نقل مستوى الحياة في دارفور إلى وضع مغاير بعد أن حصلوا على وعدٍ بانفصال هذه المنطقة اقتصاديًا عن السودان.

وراحت التقارير الغربية الصادرة عن مؤسسات ومنظمات تدّعي أنها تمدُّ أهل دارفور بالعون الإنساني- تُعْرِبُ عن قلقها إزاء مجريات الأحداث هناك، وراحت تتهم الحكومة السودانية بممارسة التطهير العرقي والعنصري، وارتكاب جرائم ضد الإنسانية في مواجهة بعض القبائل الأفريقية لمصلحة بعض القبائل العربية وقواتها المتمثلة في جماعات «الجنجاويد» المسلحة.

ومع قبول السودان للكثير من الحلول لمواجهة المؤامرة والمخطط الأمريكي الغربي ضد السودان من خلال أزمة دارفور، إلاَّ أن المؤامرة راحت تتصاعد، ووصلت إلى حد إعلان «أوكامبو» المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية عريضة الاتهام الموجهة للرئيس السوداني «عمر البشير»، والتي تتهمه بارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية- في زعمه-، وتطالب بالقبض عليه لمحاكمته في تصرفٍ يتناقض مع مبادئ أساسية في مواثيق الأمم المتحدة تتعلق باحترام سيادة الدول على أراضيها وعدم التدخل في شئونها الداخلية.

ولقد وجدوا في المحكمة الدولية الجنائية الوسيلة المناسبة للانقضاض على السودان بعد أن فشلوا في إقناع العالم بشرعية مخططهم الذي تجاوزوا فيه الأمم المتحدة ومجلس الأمن يوم شنوا حربهم الظالمة على العراق، ورأوا في المحكمة

لقد وصلت ازدواجية المعايير عند أعداء الأمة إلى أن تصدر المحكمة الدولية قرارًا باعتقال رئيس دولة ذات سيادة لأنه يسهم في نهضة أمته وإسعاد شعبه، في حين تغض الطرف عن الممارسات الظالمة لمجرم الحرب العالمي الدجال «بوش» وأعوانه من اليهود تجاه مذابحهم في فلسطين والعراق وأفغانستان.

التي أبعدوها عن أهدافها الأساسية قبيل انطلاقها في المؤتمر التأسيسي الذي انعقد في روما عام ١٩٩٨م، رأوا فيها الأداة القادرة على تحقيق المخطط في السودان وتنفيذه بالكامل، خاصة أن واشنطن التي شاركت في المفاوضات التأسيسية حتى اللحظة الأخيرة، أرادت التأثير على صياغة الاتفاق على ميثاق المحكمة، ولم تصادق عليه في النهاية، ومع العلم أن السودان ليست من الدول الموقعة على الاتفاقية، ثم أضافت واشنطن إلى ذلك عقد اتفاقات ثنائية مع عدد من دول العالم ليكون للأمريكان حصانة تجاه أي ملاحقة قضائية داخل أو خارج تلك البلدان.

في مخطط خبيث جديد تطل علينا أمريكا بوجهها القبيح لتعلن تحالفها مع أبناء القردة والخنازير من اليهود ضد دولة السودان من أجل إيقاف مسيرة نهضتها وإذلال شعبها ونهب ثرواتها وخيراتها.

دارفور والمطامع الغربية !!

وإذا كنا نتحدث عن دارفور على اعتبار أنها الإقليم الذي تكالبت دول الغرب وأمريكا لبسط نفوذها عليه، فإن هذا الإقليم يقع في أقصى غرب السودان، ومساحته تبلغ ٥١٠ ألف كيلو متر مربع، يسكنه ستة ملايين نسمة، أغلبهم من المسلمين من عرقيات عربية وأفريقية تتمثل في قبائل مستقرة في المناطق الريفية، وقبائل رُحَّلْ وفدت إلى المنطقة كانوا يعيشون في سلام، عدا بعض الخلافات القبلية على المراعي والمياه، إلاَّ أن اكتشاف البترول، وإمكانية استخراج حوالي ٥٠٠ ألف برميل يوميًا لفت أنظار الأطماع الأجنبية «الأمريكية البريطانية» خصوصًا بعد استحواذ الصين على نصيب الأسد، فأشعلت حدة الصراع في الإقليم بين الحكومة والمتمردين وحركة تحرير السودان في الجنوب منذ خمس سنوات، مما أسفر عن مقتل ٣٠٠ ألف شخص ونزوح مليونين، وقد ساهم تجاهل الحكومات السودانية المتعاقبة لأزمات الإقليم واحتياجاته، بالإضافة إلى تدخل دول الجوار (تشاد، وأفريقيا الوسطى، وإريتريا، وإثيوبيا، وأوغندا.. إلخ)، فضلاً عن التواجد الإسرائيلي من خلال بعض منظمات الإغاثة الذي ألهب نار الفتنة مما عصف بالإقليم، وأفرز ثلاثة من حركات التمرد، وتتهم هذه الحركات بمناهضة الجيش السوداني، والقيام بهجمات على قرى ومدن دارفور، ونهب مواد الإغاثة، حيث يتواجد في الإقليم نحو ١٧ ألف موظف إغاثة معظمهم سودانيون يعملون ضمن عشرات المنظمات الدولية التي يسعى بعضها لتنصير السكان مما خلط بين الدين والسياسة، كما تسعى منظمات أخرى إلى تفجير الأحداث وإثارة الفتن، لذلك تم تدويل الأزمة، إلا أن الحرب الأهلية في جنوب السودان والتي استمرت عشرين عامًا من قبل، والتي أسفرت عن مقتل مليون شخص، وتشريد ٤ ملايين آخرين استوجب تدخل المجتمع الدولي، ومجلس الأمن في النزاعات.

ازدواجية المعايير ومحاكمة المجرمين !!

وفي ظل الهوان والضعف وضياع الحقيقة، فإن الازدواجية في تطبيق المعايير لا تزال ماثلة أمام الجميع مما يُدَلِّلُ دلالة قاطعة على استعمال الأدوات والمنظمات الدولية كوسائل لتنفيذ المؤامرات التي تحاك ضد الأمة وشعوبها الإسلامية قاطبة، وازدواجية المعايير تبدو واضحة في عدم تطبيق تلك المعايير على مجرم الحرب العالمي الدجال «بوش» صاحب السبق في جرائم القتل والإبادة، ومن قبله المئات من مجرمي الحرب اليهود، لما اقترفوه من جرائم حرب ومذابح في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، والمذابح الجماعية التي مازالت ترتكب على مرأى ومسمع من العالم، إضافة إلى الجرائم التي تمارس ضد الإنسانية في السجون السرية وسجن جوانتانموا، وأبو غريب، مما يجعل قرار المحكمة في حق البشير ممارسة صارخة لازدواجية المعايير!!

يوشك أن تداعى عليكم الأمم !!

ومع استمرار الهوان والضعف، فإننا نقفز إلى حقيقة الضياع، وهو الداء الذي أودى بأمة الإسلام في عصورها المتأخرة إلى ما هي عليه الآن من ضعف وهوان،

وتفرق ونزاع، حتى تحكّم الأعداء في قضايانا، واستحوذوا على كثير من خيراتنا، واستولوا على بعض بلادنا، وساموا بعض الشعوب المسلمة سوء العذاب، وألحقوا بهم صنوفًا من الأذى، واستهانوا بالمسلمين وحرماتهم، مصداقًا لما أخبر به رسولنا الأمين ﷺ عن حال الأمة، حين تقبل على الدنيا، وتخلد إليها، ويضعف تمسكها بدين الله، وتدع الجهاد في سبيله، حيث قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». رواه أحمد وأبو داود.

وقال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعي الأكلة على قصعتها». قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل، تُنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن». قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

[رواه أحمد وأبو داود].

وفي ظل هذه الأوضاع المتردية التي وصلت إليها الأمة الآن، فعلينا أن نحذر من التمادي في الغفلة والإعراض عن الله، وإيثار الحياة الدنيا عن الآخرة، فلقد ندد الله جل وعلا بالغافلين، المتكالبين على الدنيا، ومدح المتقين الذين تخلصوا من هوى النفس، وعملوا للدار الآخرة، فقال سبحانه مبينًا حال كل فريق وجزاءه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

[النازعات: ٣٧- ٤١].

ولن يعود للأمة عزها ومجدها إلا إذا عادت إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ؛ واقتدت بسلف هذه الأمة، ومما يعين على تحقيق ذلك لزوم الصدق مع النفس في القول والعمل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤]، وما ازدهار الأمم ورفعتها إلا ثمرة الأعمال الصادقة المخلصة التي يقدمها رجالها البررة المخلصون الأوفياء الصادقون.

وعلى المسلمين عامة، وولاة أمرها خاصة أن ينبذوا الخلاف والفرقة ويعتصموا بكتاب ربهم وسنة نبيهم، ويكونوا يداً على من عاداهم من أعداء هذه الأمة الذين يريدون لها الضياع والهوان، قال تعالى:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[الأنعام: ١٥٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». وقوله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جمعيًا، وأن تناصحوا من ولاة الله أموركم ولا تفرقوا، ويكره لكم، قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

[أخرجه البخاري ومسلم].

فاللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربنا، إلى من تكلنا؟ إلى بعيد يتجهمنا، أم إلى عدو ملكته أمرنا، إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لنا، نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل علينا غضبك، أو أن ينزل بنا سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علينا أن نحذر من التمادي في الغفلة والإعراض عن الله، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، فقد ندد الله جل وعلا بالغافلين، المتكالبين على الدنيا، ومدح المتقين الذين تخلصوا من هوى النفس، وعملوا للدار الآخرة.



إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾

[سورة الشمس]

بين يدي السورة

سورة مكية، انقسمت قسمين، الأول: يتضمن حقيقة النفس الإنسانية، واستعداداتها الفطرية، ودور الإنسان في شأن نفسه، وتبعيته في مصيرها، والثاني يتضمن قصة ثمود، وتكذيبها بإنذار رسولها، وعقْرَها للناقة، ومصرعها بعد ذلك وزوالها، وهي نموذج من الخيبة التي تصيب من لا يزكي نفسه، فيدعها للفجور ولا يُلْزمها تقواها.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾: يقسم الله سبحانه بهذه الخلائق والمشاهد الكونية، كما يُقْسِمُ بالنفس وتسويتها وإلهامها، ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى، وأن يوجِّه إليها القلوب تتملاها وتتدبر ماذا لها من قيمة وماذا بها من دلالةٍ، حتى استحقت أن يُقْسِم بها الجليل العظيم.

وهذا القسم ظاهر المعنى، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ أي: سوَّاها وبسَطها، وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ «أي: خلقها سويَّةً مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «كلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تولد البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» [متفق عليه]. اهـ (تفسير ابن كثير).

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي: فأرشدها إلى فجورها وتقواها، أي بيَّن ذلك لها، وهداها إلى ما قدر لها، وهاتان الآيتان كقوله تعالى في الآية السابقة في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، وكقوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، وهذه الآيات كلّها مجتمعة تفيد أنّ الإنسان ذو إرادة مزدوجة، وقدرةٍ كذلك، فهو يريدُ الخير كما يريد الشر، وله من القدرة ما ينفذ به ما أراده من الخير أو الشر، وهو

مكلفٌ بفعل الخير واجتناب الشر، فإن فعل ذلك أَفْلَحَ وأَنجحَ، وإنْ فعل خلافه فقد خاب وخسر، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: قد أفلح مَنْ طهَّر نفسه مِنْ دنس الكفر والخطايا، وقد خاب من أَخْفَى دوافع الخير في نفسه حتى أماتها، وأظهر دوافع الشرّ حتى قوّاها ثم تبعها.

والتزكيةُ لا تكونُ إلا بالإيمان والعمل الصالح، وما شُرِعَتِ العباداتُ إلا لتزكية النفس، قال الله تعالى عن الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢]، وقال عن الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وقال النبي ﷺ عن الصوم: «الصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُثْ يومئذٍ ولا يسخبْ، فإنْ سابه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤٌ صائم». [متفق عليه].

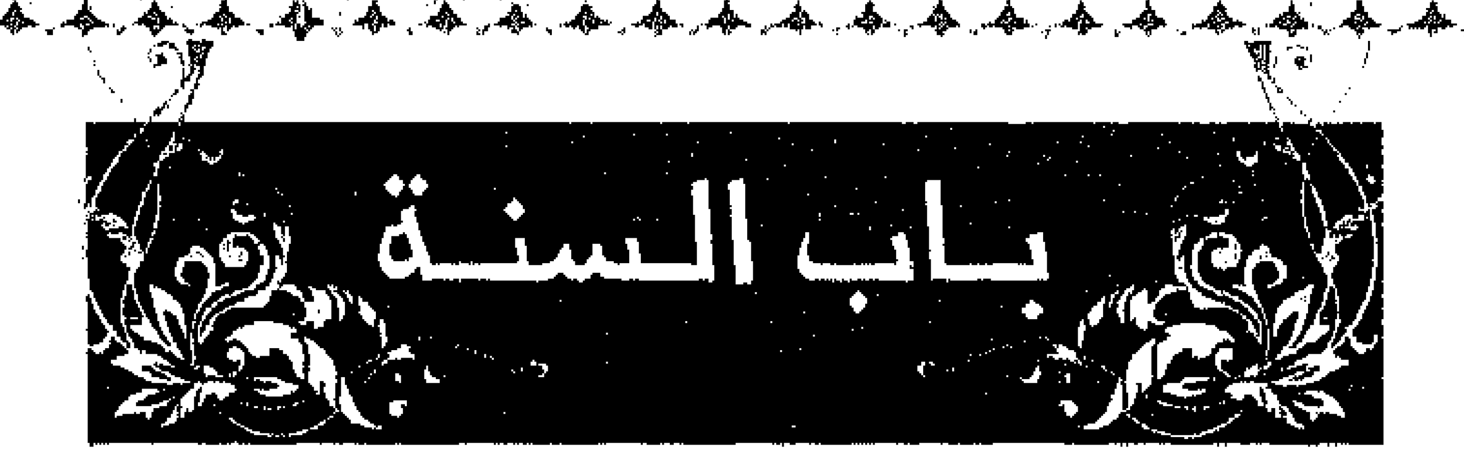
وقال الله تعالى عن الحج: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال النبي ﷺ: «من حج فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُق رجعَ من ذنوبه كيوم ولدته أمه». [متفق عليه].

وهكذا تجتمع العبادات كلها على تحقيق تزكية النفس، التي لا فلاح للإنسان إلا بتزكيتها، فاحرص يا عبد الله على كل ما يزكّي نفسك، واعلم أن الأمور كلها بيد الله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

ففروا إلى الله بالدعاء، كما كان النبي ﷺ يدعوه فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهَرم وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خيرُ من زكّاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها».

ثم بعد ذلك يعرض الله سبحانه وتعالى نموذجًا من نماذج الخيبة التي ينتهي إليها من يُدَسّي نفسه، فيحجبها عن الهدى ويدنّسها، ممثلاً هذا النموذج فيما أصاب ثمود من غضب ونكال وهلاك، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾: قد أرسل الله إلى ثمود أخاهم صالحًا، فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فكذبوا رسولهم، وعصَوا أمر ربهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، وذلك بسبب ما كانوا عليه من الطّغيان والبَغْي، ولذا قال تعالى هنا: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾، ولقد كانوا طَلَبُوا من صالحٍ آيةً، ناقةً عُشَراء، تخرجُ من هذه الصخرة، لصخرةٍ عينوها، وأعْطوه عُهودهم ومواثيقهم لئن جاءهم بها ليؤمنُن به، فدعا صالحٌ ربه، فأخرج الله لهم الناقة، فقال لهم صالح: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ولكن القوم نقضُوا عهودهم ومواثيقهم، وهمُّوا بعقر الناقة، فانبعث لذلك أشقاهم، ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]، قال تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾، ونسب العَقْرَ إليهم مع أنَّ العاقر واحدٌ، لأنهم قد رَضُوا بذلك، وقد جرتْ حِكْمةُ الله وحُكْمُه أنّ الراضي بالمنكر شريك لفاعله، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، ولذا عمّ العذابُ قوم ثمود: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ يعني: ما خافَ اللهُ من أحدٍ حين سوّى الأرض بقوم ثمود، ومَنْ ذا الذي يخافُه الجبارُ؟! والذي لا يخاف عاقبة بطشه يكونُ بطشُهُ شديدًا، وأَخْذُه أليمًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

نسأل الله تبارك وتعالى العفو والعافية، في الدنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



حفظ اللسان وإكرام الضيفان والجيران

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه. وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليَصْمُتْ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في مواضع من صحيحه بتقديم وتأخير، واقتصار على بعض في موضع منها، هذه المواضع هي: الأول في كتاب النكاح باب (الوصاة بالنساء) برقم (٥١٨٥)، والثاني في كتاب الأدب باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، برقم (٦٠١٨)، والثالث في كتاب الأدب أيضًا باب (إكرام الضيف وخدمته بنفسه)، برقمي (٦١٣٦، ٦١٣٨)، والأخير في كتاب الرقاق باب (حفظ اللسان) برقم (٦٤٧٥). كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب (الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان)، برقم (٤٧). وأخرجه أيضًا الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب (في حق الجوار) برقم (٥١٥٤)، وكذلك أخرجه الإمام الترمذي في صفة القيامة باب (حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) برقم (٢٥٠٠)، وليس فيه ذكر الجار. كما أخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧١) مقتصرًا على قول الخير، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي شريح الخزاعي برقم (١٦٨٤)، والإمام أحمد في المسند في مسند أبي هريرة برقم (٢/٢٦٧، ٤٣٣).

شرح الحديث

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «هذا الحديث خرجاه من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي بعض ألفاظها: «فَلا يُؤْذِ جَارَهُ»، وفي بعضها: «فَلْيُحْسِنْ قِرَى ضَيْفِهِ»، وفي بعضها: «فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» بدل ذكر الجار، وخرجاه أيضًا بمعناه من حديث أبي شريح الخزاعي عن النبي ﷺ.

وقد روي هذا الحديث عن النبي ﷺ من حديث عائشة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وابن عباس وغيرهم من الصحابة.

وقال رحمه الله تعالى: فقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» فليفعل كذا وكذا، يدل على أن هذه الخصال من خصال الإيمان، وقد سبق أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان.

قال: وأعمال الإيمان تارة تتعلق بحقوق الله، كأداء الواجبات وترك المحرمات ؛ ومن ذلك قول الخير والصمت عن غيره، وتارة تتعلق بحقوق عباده كإكرام الضيف وإكرام الجار والكف عن أذاه، فهذه ثلاثة أشياء يؤمن بها المؤمن:

أولاً: قول الخير والصمت عما سواه:

وقد روى الطبراني من حديث أسود بن أصرم المحاربي قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «هل تملك لسانك؟» قلت: ما أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: «فهل تملك يدك؟» قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: «فلا تقل بلسانك إلا معروفًا، ولا تبسط يدك إلا إلى خير». [حسنه الهيثمي في المجمع].

وقد ورد أن استقامة اللسان من خصال الإيمان، كما في المسند عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». [وفي إسناده ضعف].

وخرج الطبراني من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنك لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك». وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من صمت نجا».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط

الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم».
وفي المسند وجامع الترمذي وسنن النسائي من حديث بلال بن الحارث المزني قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه».

قال الحافظ ابن رجب: فقوله ﷺ: «فليقل خيرًا أو ليصمت»: أمر بقول الخير، وبالصمت عما عداه، وهذا يدل على أنه ليس هناك كلام يستوي قوله والصمت عنه، بل إما أن يكون خيرًا؛ فيكون مأمورًا بقوله، وإما أن يكون غير خير فيكون مأمورًا بالصمت عنه، وقد روي عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «كلام ابن آدم عليه لا له، إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر الله عز وجل».

وقد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقد أجمع السلف على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه والملك عن يمينه». وروي من حديث حذيفة مرفوعًا: «إن عن يمينه كاتب الحسنات». واختلفوا هل يكتب كل ما تكلم به، أو لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب؟ على قولين مشهورين. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله: أكلت وشربت وذهبت وجئت، حتى إذا كان يوم الخميس عُرِضَ قوله وعمله، فاقر ما كان فيه من خير أو شر، والقي سائره، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وعن يحيى بن أبي كثير قال: ركب رجل الحمار، فعثر به، فقال: تعس الحمار، فقال صاحب اليمين: ما هي حسنة فأكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي بسيئة فاكتبها، فأوحى الله إلى صاحب الشمال: ما ترك صاحب اليمين من شيء فاكتبه، فأثبت في السيئات: «تعس الحمار».

وظاهر هذا أن ما ليس بحسنة فهو سيئة، وإن كان لا يُعاقَبُ عليها، فإن بعض السيئات قد لا يُعاقب عليها، وقد تقع مُكَفَّرَةً باجتناب الكبائر، ولكن زمانها قد خسره صاحبها حيث ذهب باطلاً، فيحصل له بذلك حسرة في القيامة وأسف عليه، وهو نوع عقوبة.

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة». وخرجه الترمذي ولفظه: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة». وفي رواية لأبي داود والنسائي: «من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضطجعًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة». وخرج أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يجلسون مجلسًا لا يذكرون الله فيه إلا كانت عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة». وقال بعض السلف: يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات.

فمن هنا يعلم أن ما ليس بخير من الكلام، فالسكوت عنه أفضل من التكلم به، اللهم إلا ما تدعو الحاجة إليه مما لا بد منه، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إياكم وفضول الكلام، حسب امرئ ما بلغ حاجته، وعن النخعي قال: يهلك الناس في فضول المال وفضول الكلام. وأيضًا فإن الإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه يوجب قساوة القلب.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أوْلى به. وقال محمد بن عجلان: إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن، وتسأل عن علم فتخبر به، أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك. وقال رجل لسلمان رضي الله عنه: أوصني، قال: لا تكلَّمْ، قال: ما يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم، قال: فإن تكلمت فتكلمْ بحق أو اسكت.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض أحق بطول سجن من اللسان. وقال وهب بن منبه: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت.

والمقصود أن النبي ﷺ أمر بالكلام بالخير والسكوت عما ليس بخير، وخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث البراء بن عازب أن رجلاً قال: يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة، فذكر الحديث وفيه قال: «فأطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكفَّ لسانك إلا من خير».

وقال الفضيل بن عياض: ما حجٌّ ولا رباطٌ ولا جهادٌ أشدُّ من حبس اللسان، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت في غمّ شديد، وقال: سجن اللسان سجن المؤمن.

وسُئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه: إن كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب، فقال: معناه: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب.

وهذا يرجع إلى أن الكفَّ عن المعاصي أفضل من عمل الطاعات. وتذاكروا عند الأحنف بن قيس، أيما أفضل: الصمت أم النطق؟ فقال قوم: الصمت أفضل،

فقال الأحنف: النطق أفضل، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه.

وما أحسن ما قال عبيد الله بن أبي جعفر فقيه أهل مصر في وقته- وكان من الحكماء-: إذا كان المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإذا كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليحدث، وهذا حسن، فإن من كان كذلك كان سكوته وحديثه لمخالفة هواه وإعجابه بنفسه، ومن كان كذلك كان جديرًا بتوفيق الله إياه وتسديده في نطقه وسكوته، لأن كلامه وسكوته يكون لله عز وجل.

وعلى كل حال فالتزام الصمت مطلقًا، واعتقاده قربة إما مطلقًا أو في عبادة من العبادات كالحج والاعتكاف، والصيام منهي عنه، وفي سنن أبي داود من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا صمات يوم إلى الليل». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لامرأة حجت مصمتة: إن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية.

وروي عن علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله أنه قال: صوم الصمت حرام.

فالتعبد لله بالصمت بدعة.

﴿﴿ ثانيًا: إكرام الجار ﴾﴾

وفي بعض الروايات «النهي عن أذى الجار»، فأما أذى الجار فمحرم، فإن الأذى بغير حق محرم لكل أحد، ولكن في حق الجار هو أشد تحريمًا، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سُئل: أي الذنب أعظم ؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»، قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك».

وفي المسند وعند البخاري في الأدب المفرد وفي التاريخ، وعند الطبراني في الكبير والأوسط بسند جيد عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنى ؟» قالوا: حرام ؛ حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ : «لأن يزني الرجل بعشر نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره». قال: «فما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره».

وفي صحيح البخاري عن أبي شريح عن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: ومن يا رسول الله ؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه». وخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، إن فلانة تصلي الليل، وتصوم النهار، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها سليطة. قال: «لا خير فيها، هي في النار»، وقيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأتوار (جمع تَور وهو إناء صغير يشرب فيه)، وليس لها شيء غيره ولا تؤذي أحدًا، قال: «هي في الجنة». [أخرجه أحمد، في المسند والبخاري في الأدب المفرد، وابن حبان والحاكم وصححه، وهو كمال]، ولفظ الإمام أحمد: «ولا تؤذي بلسانها جيرانها».

وخرج الحاكم وصححه من حديث أبي جحيفة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال له: «اطرح متاعك في الطريق». قال: فجعل الناس يمرون به فيلعنونه (يعني الجار)، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، ما لقيت من الناس، قال: «وما لقيت منهم؟» قال: يلعنوني، قال: «فقد لعنك الله قبل الناس».

وأخرجه أبو داود بمعناه من حديث أبي هريرة، ولم يذكر فيه: «فقد لعنك الله قبل الناس».

وأما إكرام الجار والإحسان إليه فمأمور به، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، فجمع الله تعالى في هذه الآية بين حقه تعالى على العبد وحقوق العباد على العبد أيضًا، ومن بين العباد الذين أمر بالإحسان إليهم من له حق القرب والمخالطة وجعلهم ثلاثة أنواع: جار ذو قربى، وجار جنب، وصاحب بالجنب.

وقد اختلف المفسرون في تأويل ذلك، فمنهم من قال: الجار ذو القربى: الجار الذي له قرابة، والجار الجنب: الأجنبي، ومنهم من أدخل الزوجة في الجار ذي القربى، ومنهم من أدخلها في الجار الجنب، ومنهم من أدخل الرفيق في السفر في الجار الجنب، وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «أعوذ بك من جار السوء في دار الإقامة، فإن جار البادية يتحول». [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وصححه الحاكم].

ومنهم من قال: الجار ذو القربى: الجار المسلم، والجار الجنب: الكافر.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال: «إلى أقربهما منك بابًا».

وأما الصاحب بالجنب، ففسره طائفة بالزوجة، وفسره طائفة منهم ابن عباس رضي الله عنهما بالرفيق في السفر، ومقصودهم أن صحبة السفر تكفي، وإلا فإن الصاحب الملازم في الحضر أولى، ولهذا قال سعيد بن جبير: هو الرفيق الصالح، وقال زيد بن أسلم: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «خير الأصحاب عند الله خيرهم

لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». [أحمد في المسند والترمذي في جامعه، بسند حسن].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». ومن أنواع الإحسان إلى الجار مواساته عند حاجته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما كما عند الحاكم وغيره عن النبي ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع». وفي رواية أخرى: «ما آمن من بات شعبان وجاره طاوياً».

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي ﷺ: «إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمعروف». وفي رواية أن النبي ﷺ قال: «يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك».

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وجامع الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ذبح شاة فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ ثلاث مرات، ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره». ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم.

ثالثًا: إكرام الضيف

والمراد به إحسان ضيافته، وفي الصحيحين من حديث أبي شريح الخزاعي قال: أبصرت عيناي رسول الله ﷺ وسمعته أذناي حين تكلم به، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته». قالوا: وما جائزته ؟ قال: «يوم وليلة». قال: «والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة». وفي صحيح مسلم عن أبي شريح أيضًا عن النبي ﷺ قال: «الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، وما أنفق عليه بعد ذلك فهو له صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يؤثمه». قالوا: يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقريه به».

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليلة الضيف حق على كل مسلم، فمن أصبح بفنائه فهو عليه دين، إن شاء اقتضى وإن شاء ترك». وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا، فما ترى ؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: «إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم».

وفي المسند وعند الحاكم بسند رجاله ثقات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيما ضيف نزل بقوم فأصبح محرومًا فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه». وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: من لم يضف فليس من محمد ولا من إبراهيم. وقال عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ: من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا من إبراهيم.

وقال أبو هريرة لقوم نزل عليهم فلم يضيفوه، فتنحى ونزل، فدعاهم إلى طعامه فلم يجيبوه، فقال لهم: لا تنزلون الضيف ولا تجيبون الدعوة، ما أنتم من الإسلام على شيء، فعرفه رجل منهم، فقال له: انزل عافاك الله، قال: هذا شرّ وشرّ، لا تنزلون إلا من تعرفون.

قال الحافظ ابن رجب: هذه النصوص تدل على وجوب الضيافة يومًا وليلة، وهو قول الليث وأحمد، وقال حميد بن زنجويه: ليلة الضيف واجبة، وليس له أن يأخذ قراه منهم قهرًا، إلا أن يكون مسافرًا في مصالح المسلمين العامة دون مصلحة نفسه.

وقوله ﷺ: «لا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه». يعني يقيم عنده حتى يضيق عليه، لكن هل هذا في الأيام الثلاثة أم فيما زاد عليها؟ فأما فيما ليس بواجب، فلا شك في تحريمه، وأما في ما هو واجب وهو اليوم والليلة فينبني على أنه هل تجب الضيافة على من لا يجد شيئًا أم لا تجب إلا على من وجد ما يضيف به؟

فإن قيل: إنها لا تجب إلا على من يجد ما يضيف به- وهو قول طائفة من أهل الحديث- لم يحل للضيف أن يستضيف من هو عاجز عن ضيافته. وقد روي من حديث سلمان رضي الله عنه- بسند ضعيف- قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا. فإذا نهي المضيف أن يتكلف للضيف ما ليس عنده دل على أنه لا تجب عليه المواساة للضيف إلا مما عنده، فإذا لم يكن عنده فضل لم يلزمه شيء.

وأما إذا آثر على نفسه، كما فعل الأنصاري الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فذلك مقام فضل وإحسان، وليس بواجب.

ولو علم الضيف أنهم لا يضيفونه إلا بقوتهم وقوت صبيانهم، وأن الصبية يتأذون بذلك، لم يجز له استضافتهم حينئذ عملاً بقوله ﷺ: «ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يحرجه».

وأيضًا فالضيافة نفقة واجبة، فلا تجب إلا على من عنده فضل عن قوته وقوت عياله، كنفقة الأقارب، وزكاة الفطر.

نسأل الله تعالى أن يعيننا والمسلمين على حفظ السنتنا فلا نتكلم إلا فيما يعنينا، وأن يوفقنا والمسلمين إلى إكرام الجيران والإحسان إليهم وكف الأذى عنهم، وأن يعيننا ويسددنا ويوفقنا لإكرام الضيف وأن يحسن أخلاقنا ويحسن خاتمتنا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

شهر شعبان

الحمد لله الذي أنعم على عباده نعمًا كثيرة، لا تُعدُّ ولا تحصى، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن شهر شعبان من مواسم القربات التي ينبغي لنا أن نستفيد منها بالتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، من أجل ذلك أحببت أن أُذَكِّر نفسي وإخواني الكرام بالسُّنن التي ينبغي اتباعها في شهر شعبان، وأحذرهم من الوقوع في البدع التي ابتدعها بعض الناس في هذا الشهر، مخالفين بذلك هدي نبينا محمد ﷺ، فأقول وبالله التوفيق:

سبب التسمية

سُمي شهر شعبان بهذا الاسم لتشعب القبائل العربية في طلب المياه أو في الغارات التي كانوا يقومون بها ضد بعضهم بعد أن يخرج شهر رجب الحرام. [فتح الباري ٤/٢٥١].

فضل الصوم في شعبان

إن من سنة نبينا محمد ﷺ الإكثار من الصيام في شهر شعبان، والصوم له أجر عظيم عند الله تعالى. روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺيقول: «من صام يومًا في سبيل الله بَعَّدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفًا». [البخاري ٢٨٤٠، ومسلم ١١٥٣].

وروى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺقال: إن في الجنة بابًا يُقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدٌ غيرهم يُقال: أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد. [البخاري ١٨٩٦، ومسلم ١١٥٢].

قال ابن رجب الحنبلي: ريح الصيام أطيب من ريح المسك، تستنشقه قلوب المؤمنين، وإن خفي، وكلما طالت عليه المدة ازدادت قوةُ ريحِه. [لطائف المعارف لابن رجب ص٢٥٣].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺيصوم شهرًا أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دُووم عليه وإن قلت وكان إذا صلى صلاة دوام عليها. [البخاري ١٩٧٠].

قال ابن حجر: قولها: وكان يصوم شعبان كله أي: يصوم معظمه.

قال عبد الله بن المبارك: جاز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقول صام الشهر كله، ويقال: قام فلان ليلته أجمع، ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره، وقال ابن المبارك أيضًا: ومعنى هذا الحديث أنه كان يصوم أكثر الشهر. (سنن الترمذي ٣/١١٤).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان

بين السنة والبدعة

إعداد/ صلاح نجيب الدق

أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان. [حديث صحيح: صحيح أبي داود ٢١٢٤].

عن أم سلمة رضي الله عنه قالت: ما رأيتُ النبي ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان. [حديث صحيح: صحيح الترمذي ٥٨٨].

عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال: ذلك شهرٌ يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأُحب أن يُرفَعَ عملي وأنا صائم. [حديث حسن: صحيح النسائي ٢٢٢١].

تخصيص النصف من شعبان بالصوم

قال ابن عثيمين رحمه الله: إن صيام النصف من شعبان أو تخصيصه بقراءة أو بذكر، لا أصل له، فيوم النصف من شعبان كغيره من أيام النصف في الشهور الأخرى، ومن المعلوم أنه يشرع أن يصومَ الإنسانُ في كل شهر الثلاثة البيض: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، ولكن شعبان له مزية عن غيره في كثرة الصوم، فإن النبي ﷺ كان يكثر الصيام في شعبان أكثر من غيره، حتى كان يصومه كله أو إلاَّ قليلاً منه، فينبغي للإنسان إذا لم يُشَقَّ عليه أن يُكثر من الصيام في شعبان اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. [البدع والمحدثات لمحمود عبد الله المطر ص٦١٢].

حكم الصوم في النصف الثاني من شعبان

روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا». [حديث صحيح: صحيح أبي داود ٢٠٤٩].

قال ابن رجب الحنبلي: النهي في هذا الحديث يكون في حق من لم يصم شيئًا في النصف الأول أو من ليس له عادة من الصوم وأراد أن يبدأ التطوع في النصف الثاني فقط. [لطائف المعارف لابن رجب ص٢٦٠].

وقال الترمذي: ومعنى الحديث عند بعض أهل العلم، أن يكون الرجل مفطرًا فإذا بقي من شعبان شيء أخذ في الصوم لحال شهر رمضان. [سنن الترمذي ٣/١١٥].

ليلة النصف من شعبان

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «جاء في فضل ليلة النصف من شعبان أحاديثُ متعددةٌ، قد اختُلِف فيها، فضعفها الأكثرون وصحح ابن حبان بعضها». [لطائف المعارف لابن رجب ص٢٦١].

عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خَلْقه، إلا لمشرك أو مشاحن». [حديث حسن: صحيح ابن ماجه للألباني ١١٤٠].

أخي الكريم: هذا الحديث ليس فيه إلا أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيغفر لعدد

كبير من خلقه عدا المشرك والمشاحن، ومن العجيب أن أهل البدع يتمسكون بمثل هذا الحديث فيجعلونه أصلاً لبدعهم.

بدع ليلة النصف من شعبان

نتحدث عن بدع ليلة النصف من شعبان بإيجاز:

أولاً: الصلاة الألفية

الصلاة الألفية هي مائة ركعة، يقرأ المصلي في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات، وتسمى بالألفية ؛ لقراءة سورة الإخلاص فيها ألف مرة.

إن هذه الصلاة بهذه الصفة بدعة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من الخلفاء الراشدين، ولا أحد من الصحابة، رضوان الله عليهم، ولا استحبها أحد من أئمة الهدى ؛ كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ولو كان ذلك مشروعًا لسبقونا إليه، وهم أحرص الناس على الخير.

قال الإمام النووي- رحمه الله- (وهو من علماء المذهب الشافعي): الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي ثنتي عشرة ركعة، وتصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة وهاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، قبيحتان، ولا يُغْتَرُّ بذكرهما في كتاب قوت القلوب وإحياء علوم الدين، ولا بالحديث المذكور فيهما، فإن كل ذلك باطل ولا يُغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة، فصنف ورقات في استحبابها فإنه غالط في ذلك، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا نفيسًا في إبطالهما، فأحسن فيه وأجاد رحمه الله. [المجموع للنووي ٤/٥٦].

قال ابن القيم- بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في فضل صلاة ليلة النصف من شعبان-: أحاديث صلاة النصف من شعبان لا يصح منها شيء. [المنار المنيف لابن القيم ص٩٨، ٩٩].

قال السيوطي- بعد أن ذكر حديث: «يا علي من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف «قل هو الله أحد» قضى الله له كل حاجة طلبها الليلة» بثلاث روايات-: هذا حديث موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاثة مجاهيل، وفيهم ضعفاء، والحديث محال.

وقال أيضًا عن حديث علي بن أبي طالب: رأيت رسول الله ﷺ ليلة النصف من شعبان قام فصلى أربع عشرة ركعة ثم جلس. حديث موضوع وإسناده مظلم. [اللالئ المصنوعة للسيوطي ٢/٥٧، ٦٠].

ثانيا: تخصيص صوم يوم ليلة النصف من شعبان

إن تخصيص صوم يوم ليلة النصف من شعبان من البدع التي ابتدعها الناس في شهر شعبان، وأما ما رواه ابن ماجه بلفظ: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها. فحديث موضوع. [ضعيف الجامع للألباني ٦٥٢].

قال المباركفوري: لم أجد في صوم ليلة النصف من شعبان حديثًا مرفوعًا صحيحًا. [تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣/٣٦٨].

وقد ذكر ابن الجوزي حديث: «صيام يوم ليلة النصف من شعبان كصيام ستين سنة ماضية وسنة مستقبلة» وقال: هذا حديث موضوع وإسناده مظلم. «الموضوعات» لابن الجوزي (٣/١٣٠).

ثالثًا: اجتماع الناس في المساجد لإحياء ليلة النصف من شعبان

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «لم أدرك أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا

يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم ندرك أحدًا منهم يذكر حديث مكحول، ولا يرى لها فضلاً على ما سواها من الليالي». [إسناده صحيح: البدع لابن وضاح القرطبي ص٨٤].

ظهور بدعة صلاة الرغائب

قال أبو محمد المقدسي: لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب، هذه التي تصلى في رجب وشعبان، وأول ما حدثت عندنا في أول سنة ثمان وأربعين وأربع مئة قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس يُعرف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجلٌ ثم انضاف إليهما ثالثٌ ورابع، فما ختمها إلاَّ وهم في جماعة كثيرة، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم ثم استقرت كأنها سُنة إلى يومنا هذا. [الحوادث والبدع للطرطوشي ص١٣٢- ١٣٣].

قال ابن رجب الحنبلي- رحمه الله-: قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة. [لطائف المعارف ص٢٦٤].

قال الشيخ على محفوظ- رحمه الله- وهو من علماء الأزهر: من البدع الفاشية في الناس احتفال المسلمين في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب، يقرءونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام، فإن إحياءها بذلك على الهيئة المعروفة، لم يكن في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الصحابة. [الإبداع لعلي محفوظ ص٢٨٦].

رابعا: دعاء المحو والإثبات

من البدع التي ابتدعها الناس أيضًا في ليلة النصف من شعبان، الدعاء المعروف الذي يطلب فيه المسلم من الله تعالى أن يمحو من أم الكتاب شقاوته إن كان قد كتبه شقيًا.

هذا الدعاء ليس له أصل في سنة نبينا محمد، فلم يثبت عن نبينا محمد ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، أنهم اجتمعوا في المساجد من أجل الدعاء في ليلة النصف من شعبان ولا تصح نسبة هذا الدعاء إلى أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

وربما اشترط المبتدعون لقبول هذا الدعاء قراءة سورة «يس» وصلاة ركعتين قبله، يفعلون ذلك ثلاث مرات يصلون المرة الأولى بنية طول العُمر، والمرة الثانية بنية الاستغناء عن الناس، واعتقدوا أن هذا العمل من الشعائر الدينية، ومن مزايا هذه الليلة وخصائصها، حتى اهتموا به أكثر اهتمامهم بالواجبات والسنن، فتراهم يسارعون إلى المساجد قبيل الغروب من هذه الليلة، وفيهم تاركو الصلاة، معتقدين أن هذا الدعاء يجبر كل تقصير سابق عليه وأنه يُطيل العمر ويتشاءمون من فوته: إن الدعاء مطلوب في كل وقت ومكان، لكن لا على هذا الوجه المخترع، فنتقرب إليه تعالى بما شرع ولا نتقرب إليه بالبدع، وما أحسن الدعاء وقت السحر وقد نامت العيون، وغابت النجوم، وبَقِيَ الحيُّ القيومُ.

يدعو المرء فيه بحاجته، ويناجي مولاه بمطلوبه حاضرَ القلب، خاشعًا ذليلاً، لا مقلدًا فيه، ولا حاكيًا لدعاء غيره، فإن ذلك يذهب برقة القلب وحضوره، ومحال أن يستجيب الرب لمن يدعوه، وقلبه عند غيره.

[الإبداع لعلي محفوظ ص٢٩٠].

ينبغي لكل مسلم أن يحرص على اتباع سُنة النبي ﷺ، ويحذر من مخالفة السنة، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [البخاري ح٢٦٩٧].

صيام آخر شعبان

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمنَّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجلٌ كان يصوم صومًا، فليصم ذلك اليوم». [البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢].

قال ابن رجب: صيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يصومه بنية الرمضانية، احتياطًا لرمضان، فهذا منهي عنه، وقد فعله بعض الصحابة، وكأنهم لم يبلغهم النهي عنه، وفرَّق ابنُ عمر بين يوم الغيم والصحو في يوم الثلاثين من شعبان، وتبعه الإمام أحمد.

الثاني: أن يصام بنية النذر أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة، ونحو ذلك، فجَوَّزه الجمهور.

الثالث: أن يصام بنية التطوع المطلق، فكرهه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر- منهم الحسن البصري-، وإن وافق صومًا كان يصومه، ورخَّص فيه مالك ومن وافقه، وفرق الشافعي والأوزاعي وأحمد وغيرهم بين أن يوافق عادة أو لا.

ثم قال ابن رجب: المعمول به عند كثير من العلماء أنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة، ولا سبق منه صيامٌ قبل ذلك في شعبان متصلاً بآخره. [لطائف المعارف لابن رجب ص٢٧٢، ٢٧٣].

كراهة التقدم بالصوم على رمضان

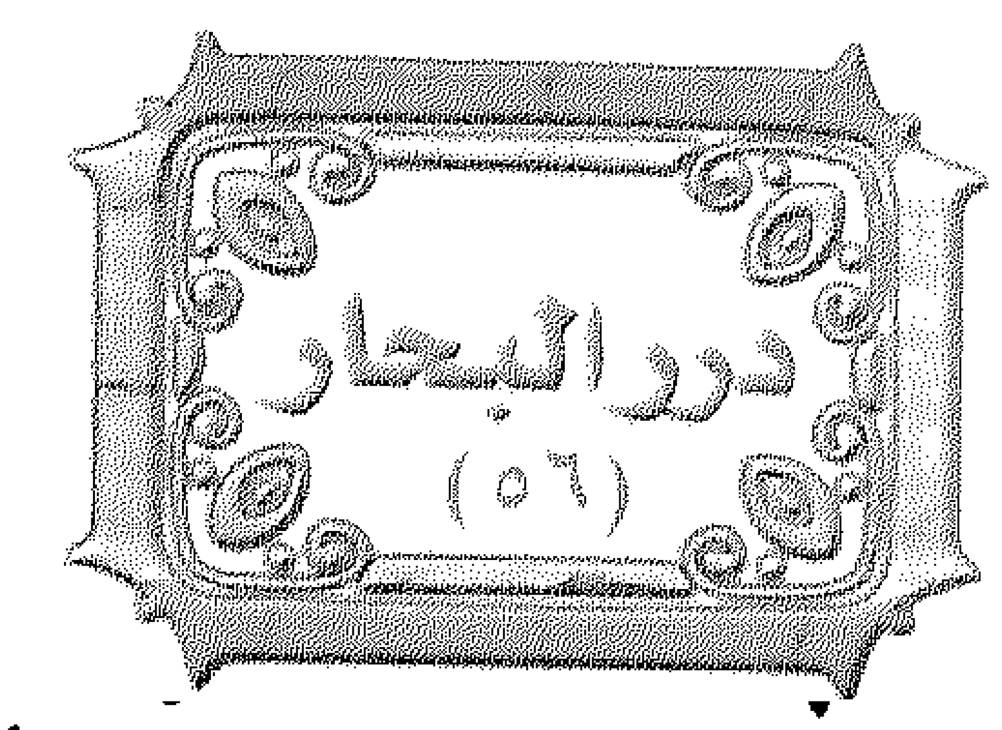
قال ابن رجب الحنبلي: كراهة التقدم بالصوم على رمضان لها ثلاثة معانٍ:

أحدها: أنه على وجه الاحتياط لرمضان، فيُنهى عن التقدم قبله، لئلا يُزاد في صيام رمضان ما ليس منه، كما نهى عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، حذرًا مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم، فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم.

الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل، فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حَرُمَ صيام يوم العيد، ونهى النبي ﷺ أن تُوصَلَ صلاة مفروضة بصلاة حتى يُفصل بسلام أو كلام.

الثالث: أن النبي ﷺ أمر بذلك للتَّقَوِّي على صيام رمضان، فإن مواصلة الصيام قد تُضْعِفُ عن صيام الفرض، فإذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين، كان أقرب إلى التَّقَوِّي على صيام رضمان، وفي هذا التعليل نظر، فإنه لا يكره التقدم، بأكثر من ذلك، ولا لمن صام الشهر كله وهو أبلغ في معنى الضعف، لكن الفطر بنية التَّقَوِّي لصيام رمضان حَسَنٌ لمن أضعفه مواصلة الصيام. [لطائف المعارف لابن رجب ص٢٧٣-٢٧٥].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد
علي حشيش

١٥٧٤- عن سهل بن حُنَيْف رضي الله عنه عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاء، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِه». م(١٩٠٩)، د(١٥٢٠)، ن(٣١٦٢)، (٣/٤٣٧٠- كبرى)، جه (٢٧٩٧)، حب (٣١٩٢)، ت(١٦٥٣).

١٥٧٥- عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ». م(١٩١٠)، حم(٨٨٧٤)، د(٢٥٠٢)، ن(٣٠٩٧)، (٣/٤٣٠٥- كبرى).

١٥٧٦- عن جابر رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ في غَزَاةٍ فقال: «إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا ولا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ». م(١٩١١)، حم(١٤٦٨١)، جه(٢٧٦٥).

١٥٧٧- عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيامِه، وَإِنْ مَاتَ، جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذي كَان يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الفَتَّانَ». م(١٩١٣)، حم(٢٣٧٨٨)، ت(١٦٦٥)، ن(٣١٦٧، ٣١٦٨، ٤٣٧٥، ٣/٤٣٧٦-كبرى)، حب (٤٦٢٣).

١٥٧٨- عن عُقْبَةَ بن عامر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ. م(١٩١٧)، حم(١٧٤٣٧)، د(٢٥١٤)، جه (٢٨١٣)، حب (٤٧٠٩)، ت(٣٠٨٣)، هق (١٣/١٠).

١٥٧٩- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، ويَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِه». م(١٩١٨)، حم(١٧٤٣٨)، حب(٤٦٩٧)، هق(١٣/١٠)، ت(٣٠٨٣).

١٥٨٠- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى». م(١٩١٩)، حم(١٧٣٣٩).

١٥٨١- عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهم حَتَّى يَأْتِيَ أَمرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». م(١٩٢٠)، حم(٢٢٤٦٦)، ت(٢٢٢٩)، جه(١٠).

١٥٨٢- عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائمًا يُقَاتِلُ عَليه عِصَابَةٌ مِنَ المُسلمينَ حَتَّى تقومَ الساعةُ». م(١٩٢٢)، حم (١٢٠٤١، ٢١٠٧٠، ٢١١٠١)، حب (٦٨٣٧).

١٥٨٣- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالُ أَهلُ الغَرْبِ(١) ظاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». م(١٩٢٥).

١٥٨٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ في السَّنَةِ فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَإِذَا عَرَّسْتُم(٢) بِاللَّيلِ، فاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ فَإِنَّهَا مَأْوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ». م(١٩٢٦)، حم(٨٤٥٠، ٨٩٢٧)، د(٢٥٦٩)، ت(٢٨٥٨)، حب (٢٧٠٣).

١٥٨٥- عن أبي ثعلبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَمَيْتَ بِسَهْمِكَ فَغَابَ عَنْكَ فَأَدْرَكْتَهُ فَكُلْهُ، مَا لَمْ يُنْتِنْ». م(١٩٣١)، حم (١٧٧٥٩)، د(٢٨٦١)، ت(١٤٦٤)، ن(٤٣١٤)، (٣/٤٨١٥- كبرى).

١٥٨٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، فَأَكْلُهُ حَرَامٌ». م(١٩٣٣)، ط(١٠٧٦)، حم(٧٢٢٨)، ن(٤٣٣٥)، (٣/٤٨٣٦- كبرى)، جه(٣٢٣٣)، حب (٥٢٧٨)، هق (٩/٣١٥).

١٥٨٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِضَبٍّ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ، وقال: «لا أَدْرِي، لَعَلَّهُ مِنَ القُرُونِ الَّتي مُسِخَتْ». م(١٩٤٩)، حم(١٥٠٧٠).

١٥٨٨- عن أبي الزبير قال: سَأَلْتُ جَابِرًا عن الضَّبِّ، فقال: لا تَطْعَمُوهُ، وَقَذِرَهُ، وَقَالَ: قَالَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَم يُحَرِّمْهُ، إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَنْفَعُ بِهِ غَيْرَ واحدٍ، فإِنَّما طَعَامُ عَامَّةِ الرِّعَاءِ مِنهُ، ولو كانَ عِنْدِي طَعِمْتُهُ. م(١٩٥٠)، جه(٣٢٣٩)، حم(١٩٤، ١٤٦٩٠).

١٥٨٩- عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إِنَّا بِأَرْضٍ مَضَبَّةٍ فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ أَوْ فَمَا تُفْتِينَا ؟ قال: «ذُكِرَ لي أَنَّ أُمَّةً مِنْ بني إسرائيلَ مُسِخَتْ». فَلَم يَأمرْ، ولَمْ يَنْهَ. م(١٩٥١)، جه(٣٢٤٠).

١٥٩٠- عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فاحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فليرح ذَبِيحتَهُ». م(١٩٥٥)، حم(١٧١١٦)، د(٢٨١٥)، ت(١٤٠٩)، ن(٤٤١٧، ٤٤٢٣، ٤٤٢٤، ٤٤٢٥، ٤٤٢٦، ٤٤٩٤، ٣/٤٥٠١، ٣/٤٥٠٣، ٥/٨٦٥٨- كبرى)، جه (٣١٧٠).

١٥٩١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صبرًا. م(١٩٥٩)، حم (١٤٤٣٠، ١٤٤٥٥، ١٤٦٥٢)، جه (٣١٨٨).

١٥٩٢- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : «لا تَذْبَحُوا إلاَّ مُسِنَّةً، إلاَّ أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً(٣) مِنَ الضَّأْنِ». م(١٩٦٣)، حم (١٤٣٥٤، ١٤٥٠٩)، د(٢٧٩٧)، ن(٤٣٩٠)، (٣/٤٤٦٨- كبرى)، جه (٣١٤١).

١٥٩٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: صَلَّى بِنَا النبيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بِالمدينة فَتَقَدَّمَ رِجالٌ فَنَحَرُوا، وَظَنُّوا أنَّ النبيَّ قد نَحَرَ، فأمرَ النبيُّ ﷺ مَنْ كَانَ نَحَرَ قَبْلَهُ أَنْ يُعِيدَ بِنَحْرٍ آخَرَ، وَلاَ يَنْحَرُوا حَتَّى يَنْحرَ النبيُّ. م(١٩٦٤).

١٥٩٤- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن يَطَأُ في سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ في سَوَادٍ، ويَنْظُرُ في سَوَادٍ فَأُتِيَ به لِيُضَحِّيَ به فقال لها: «يَا عَائِشَةُ هَلُمِّي المُدْيَةَ»، ثم قال: «اشْحَذِيها بِحَجَرٍ». ففعلت ثم أخذها، وأخذ الكبش فأضْجَعَهُ ثم ذبحه، ثم قال: «بِاسْمِ اللهِ، اللهمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ». ثم ضحَّى به. م(١٩٦٧)، حم(٢٤٥٤٥)، د(٢٧٩٢).

١٥٩٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، لاَ تَأْكُلُوا لُحُومَ الأَضَاحِي فَوْقَ ثَلاثٍ»، فَشَكَوْا إلى رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّ لَهُمْ عِيالاً وَحَشَمًا وَخَدَمًا، فَقَالَ: «كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَاحْبِسُوا أَوِ ادَّخِرُوا». م(١٩٧٣)، حم(١١٤٤٦).

١٥٩٦- عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قال: ذَبَحَ رسولُ الله ﷺ ضَحِيَّتَهُ، ثُمَّ قالَ: «يَا ثَوْبَانُ، أَصْلِحْ لَحْمَ هَذِهِ». فَلَمْ أَزَلْ أُطْعِمُهُ مِنْها حَتَّى قَدِمَ المَدِينَةَ. م(١٩٧٥)، حم (٢٢٤٥٤، ٢٢٤٨٤)، د(٢١٨٤)، جه(٥٩٣٢).

١٥٩٧- عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَتْ العَشْرُ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا». م(١٩٧٧)، حم(٢٦٦٣٣)، د(٢٧٩١)، ت(١٥٢٣)، ن(٤٣٧٣)، (٤٣٧٤)، (٤٣٧٥، ٤٤٥١، ٤٤٥٢، ٣/٤٤٥٤- كبرى)، جه (٣١٤٩).

١٥٩٨- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأرضِ». م(١٩٧٨)، حم(٨٥٥)، (٨٥٨)، (٩٥٤) (١٣٠٧)، ن(٤٤٣٤)، (٣/٤٥١١- كبرى)، حب (٥٨٩٦).

١٥٩٩- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ التي حَرَّمَ اللهُ فِيها الخَمْرَ، وَمَا بِالمدينة شَرَابٌ يُشْرَبُ إلاَّ مِنْ تَمْرٍ. م(١٩٨٢).

١٦٠٠- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئِلَ عَنِ الخَمْرِ تُتَّخَذُ خَلاًّ؟ فقال: «لا». م(١٩٨٣)، حم(١٢١٩٠)، د(٣٦٧٥)، ت(١٢٩٤).

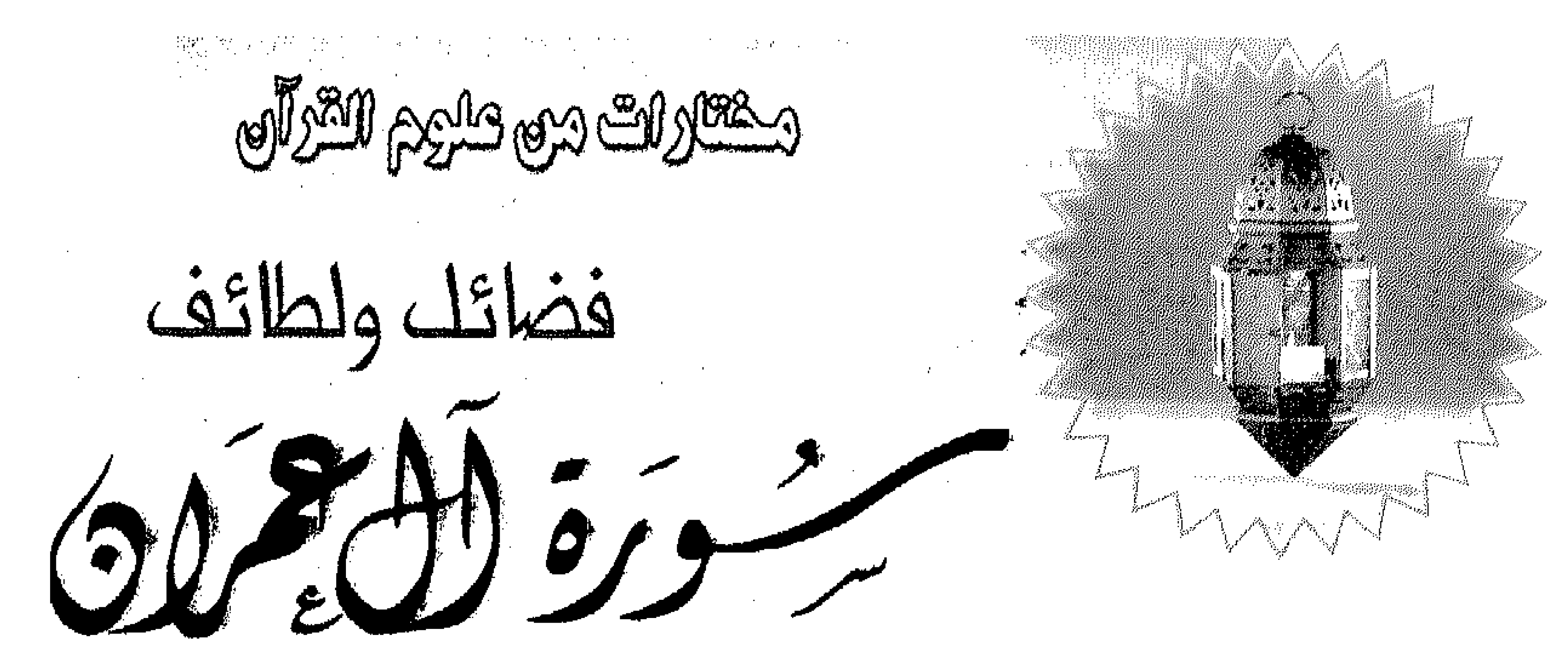
١٦٠١- عن وائل الحضرميِّ أن طارقَ بنَ سويد الجُعفيَّ سأل النبي ﷺ عن الخمر فنَهَاه، أو كرهَ أن يصنعَها، فقال: إنما أصنعُها للدواء، فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ». م(١٩٨٤)، حم(١٨٨٨١)، (٢٢٥٦٥)، د(٣٨٧٣)، ت(٢٠٤٦)، جه(٣٥٠٠)، حب (٦٠٦٥).

١٦٠٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخَمْرُ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ: النَّخْلَةِ والعِنَبَةِ». م(١٩٨٥)، حم(٧٧٥٧)، (٩٣٠٥)، (٩٣٠٨)، (١٠١٤٦)، (١٠٤٤٩)، (١٠٧١٤)، (١٠٧١٥)، (١٠٨٠٩)، د(٢٦٧٨)، ت(١٨٧٥)، ن(٥٥٨٨)، (٥٥٨٩)، (٥٠٨٢، ٣/٥٥٨٣- كبرى)، (٤/٦٧٨٨- كبرى)، جه (٣٣٧٨)، حب (٥٣٤٤).

١٦٠٣- عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ نَهَى عَنِ التَّمْرِ والزَّبِيبِ أَنْ يُخْلَطَ بَيْنَهُمَا وَعَنِ التَّمْرِ والبُسْرِ أَنْ يُخْلَطَ بَيْنَهُمَا. م(١٩٨٧)، حم(١١٤٦٤)، (١١٦٨٢)، (١١٤٨٩)، (١١٤٥٠)، ت(١٨٧٧)،...(٥٥٨٤)، (٥٥٨٥)، (٥٥٨٧)، (٥٠٧٨)، ٥٠٧٩، ٣/٥٠٨١-كبرى).

الهوامش

١- أهل الغرب: المراد بهم العرب - والغَرْبُ الدَّلْوُ.
٢- عرستم: نزلتم في أواخر الليل للنوم والراحة.
٣- جذعة: ما له سنة تامة.



فضائل ولطائف سورة آل عمران

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنحن ما نزال نتحدث عن فضائل ولطائف سورة آل عمران، وحديثنا بإذن الله تعالى في هذا العدد عن الفوائد المستنبطة من الآيات الكريمة التي تكلمنا عنها في العدد السابق، وهي الآيات الخامسة والثلاثون والسادسة والثلاثون والسابعة والثلاثون:

الفوائد المستنبطة من الآيات الكريمة:

أولاً: من قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

١- تعظيم هذه القصة ؛ لأن الله أمر رسوله أن يبينها للناس ؛ إذ التقدير: اذكر إذ قالت امرأة عمران.

٢- جواز النذر في الأمر المجهول، لقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، ينبني على ذلك أن يقول القائل: لله عليَّ نذر أن أتصدق بما في بطن هذه الشاة أو هذه الناقة، وينفذ النذر.

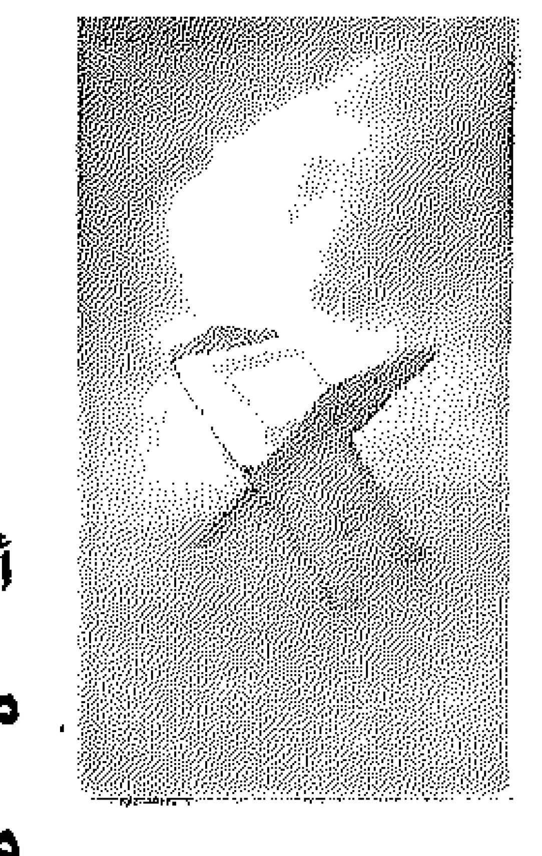
٣- جواز تصدق المرأة بدون إذن زوجها، ووجهه: أنها نذرت تحرير هذا الولد بدون إذن الزوج، فإن قال قائل: ما دليلكم على أنه بدون إذن زوجها، أفلا يمكن أن تكون استأذنت ؟ الجواب: بلى، لكنه لم يذكر.

فإن قال قائل: عدم الذكر ليس ذكرًا للعدم، فرق بين أن أسكت عن الشيء وبين أن أنفي الشيء، نفي الشيء ذكر لعدمه، لكن السكوت عنه ليس ذكرًا لعدمه.

قال ابن عثيمين رحمه الله: هذا ليس في كل مكان، بل نقول: هذا فيما إذا كان هناك نصوص عامة ثم ادعى أحدٌ إخراجها أو تقييدها أو ما أشبه ذلك.

هذا هو الذي نقول له: عدم الذكر ليس ذكرًا للعدم، وأما إذا جاءت قصة مرسلة ولم يذكر فيها قيود فالأصل عدم القيد، وقد جاءت الشريعة الإسلامية مؤيدة لهذا، أي أن المرأة تتصرف في مالها، فالرسول ﷺ لما خطب النساء يوم العيد وقال: «يا معشر النساء، تصدقن»، فجعلن يلقين من الخواتم والخروص في ثوب بلال. رواه البخاري.

ومن القرآن قال الله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، طبن: أي: النساء. إذن المرأة حرة في مالها تتصرف وليس لزوجها أن يمنعها من أي تصرف شاءت، اللهم إلا في مسألة واحدة، قد يقال إنه يمنعها من التصرف مثل أن يشتري لها حليًا وثياب زينة تتجمل بها له، فهنا ربما نقول: إن له أن يمنعها من التصرف في هذه الثياب وهذا الحلي من بيع أو هبة ؛ لأن ذلك يضر بمقصوده.



٤- أن الولد يخدم والده من أم أو أب ؛ لأنها قالت: ﴿مُحَرَّرًا﴾، يعني: محررًا من الخدمة بحيث لا أستخدمه ولا أستغل حياته.

٥- طرد الإعجاب بالنفس، وذلك بأن الإنسان إذا عمل عملاً لا يُدلُّ به على الله يقول: أنا عملت وأنا عملت، بل يعمل ويشعر أنه مفتقر إلى الله عز وجل في قبول ذلك العمل، ولهذا قالت: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾، وقال إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، والإنسان إذا علم أنه مفتقر إلى ربه عز وجل في العمل وفي قبول العمل زال عنه الإعجاب، وإذا زال عنه الإعجاب صار حريًا بأن الله تعالى يقبل منه ويثيبه.

٦- إثبات اسمين من أسماء الله وهما: السميع، والعليم. والسميع يكون بمعنى استجابة الدعاء، وبمعنى إدراك المسموع، والعليم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه.

ثانيًا: من قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

١- أن الأم تتكلف الحمل كما يشعر به كلمة «وضعتها» أنها حاملة لها، وهو كذلك لا شك أنها تتكلف الحمل، وإذا قدَّرنا أن هذا الطفل الذي في بطنها سيبقى تسعة شهور وهي حاملة له في بطنها، في أرق ما يكون من البدن، قائمة وقاعدة ومستيقظة ونائمة، فماذا نتصور من التعب ؟ ولهذا قال الله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]، ثم مع ذلك هذا الطفل في البطن يتحرك وهي تحس به، ولولا لطف الله بعباده ما استطاعت أن تحمل هذا، ولكن الله عز وجل يعينها، فيتفرع على هذه الفائدة فائدة أخرى وهي:

٢- عظم حق الأم على ولدها ؛ لأن من أحسن إليك وأتعبته كان أحق الناس ببرك، ولهذا جعلها النبي ﷺ أحق الناس بحسن الصحبة.

٣- اعتذار الإنسان عند ربِّه إذا وقع الأمر خلاف ما أراد ؛ لقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾، فإن هذا شبه اعتذار لقوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، والأنثى لا تخدم المساجد عندهم فلهذا اعتذرت.

٤- التوسل إلى الله تعالى بربوبيته.

٥- أنه من تمام البلاغة الاحتراز عن كل موهم لأمر خطأ، سواء كان في المقال أو في الفعال لقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ على قراءة الضم، والمقال كما هنا، وفي الفعال: لما خرج النبي ﷺ بصفية رضي الله عنها يقلبها حين جاءت إليه وهو معتكف وتحدثت معه، فقامت لتخرج بالليل، فخرج بها صلى الله عليه وسلم، وإذا برجلين من الأنصار يمران، فأسرعا، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله، ثم قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خفت أن يقذف في قلوبكما شرًا- أو قال: شيئًا». رواه البخاري ومسلم.

لا شك أن أبعد الناس عن سوء الظن هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا سيما من أصحابه، لا يمكن أن يظنوا به سوءًا، ومع ذلك خاف أن الشيطان يُلقي في قلوبهما شرًا أو شيئًا، ولهذا ينبغي للإنسان أيضًا أن يدرأ الغيبة عن نفسه ما استطاع، لا يقول: أنا لا أبالي بالناس، «حسبنا الله ونعم الوكيل»، هذا طيب، لكن افعل الأسباب التي تدرأ عنك الشر حتى لا يظن الناس بك سوءًا.

٦- إثبات التفضيل في أوصاف الله من قوله:

﴿أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ خلافًا لمن منع ذلك وفسَّر أعلم بـ «عالم».

٧- أنه لا يستوي الذكور والإناث، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾، لا في الطبيعة، ولا في الأخلاق، ولا في المعاملة، بل ولا في الأحكام في بعض الأحيان، فالذكر ليس كالأنثى، وإذا كان الذكر ليس كالأنثى، فالأنثى أيضًا ليست كالذكر.

٨- تسمية المولود حين يولد ؛ لقولها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، وهذا هو السنة أن يسمّى الإنسان حين يولد، إلا إذا لم يتهيأ الاسم، فإنه يسمى في اليوم السابع، وبهذا تجتمع الأدلة، فإن النبي ﷺ لما وُلد إبراهيم قال: «نذبح يوم سابعه، ويحلق ويسمى». رواه أبو داود والترمذي والنسائي. فيكون الجمع أن من كان مهيأ الاسم قبل الولادة فالأفضل أن يسميه حال الولادة، ومن لم يهيأ فالأفضل أن يؤجله إلى اليوم السابع.

٩- مشروعية إعاذة الإنسان أبناءه بالله عز وجل من الشيطان الرجيم، ومن شر الخلق، لقولها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

١٠- جواز الدعاء للمعدوم من قوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾، لأن ذريتها لم تأت بعد، فيجوز أن يقول: «أصلحك الله وذريتك»، «وغفر الله لك ولذريتك»، وما أشبه ذلك.

١١- أن الشيطان عدو لبني آدم حيث يطلب الإنسان من الله عز وجل أن يعيذه منه.

١٢- بيان قدرة الله سبحانه وتعالى على كل شيء، ومن ذلك الإجارة من الشيطان وإلا لكان الاستعاذة به من الشيطان عبثًا.

ثالثًا: من قوله عز وجل: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

١- أن الله عز وجل سميع، مجيب، لأنها دعت فسمعها الله، ولأنها دعت فأجابها الله، وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٢- أن الله مَنَّ على هذه الطفلة بشيئين: بالقبول الحسن، والنبات الحسن، فصار في ذلك تنمية لأخلاقها ولجسمها وبدنها.

٣- أن تطور الإنسان في حياته بأمر الله، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا﴾، وما الغذاء والعناية بالطفل إلا سبب، والله تعالى هو المسبب، وهو المكون للإنسان والمنبت له.

٤- أن الله عز وجل قد ييسر للإنسان من يكفله من أهل الخير، فيكون ذلك من أسباب إعاذته من الشيطان الرجيم، لقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

٥- إثبات الحضانة للطفل، لقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

٦- أن هذه الطفلة صارت من العابدات القانتات، لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾.

٧- أن الله عز وجل قد ييسر للإنسان من الرزق ما لا يكون في حسبانه، لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾.

٨- أن لكل ضعف لطفًا، فهذه المرأة الضعيفة التي مَنَّ الله عليها بالاشتغال بالعبادة، يسَّر الله لها من يأتيها بالرزق.

٩- أن الأشياء تضاف إلى الله، وإن كان لها سبب ؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

١٠- أن الأنبياء لا يعلمون الغيب ؛ لقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾.

١١- إثبات أن الله عز وجل يرزق بغير مكافأة ولا انتظار المكافأة ؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وإلى لقاء إن شاء الله.



الشيعة الرافضة

تاريخ وحقائق

الحلقة الأخيرة

إعداد: د/ عبدالله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

عقيدة الشيعة الرافضة في التقية

التقية عند الشيعة ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم، قال ابن بابويه القمي: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»(١)، فهم يرونها فريضة لا يقوم المذهب إلا بها، ويتلقون أصولها سرًا وجهرًا، وقد عَرَّفَ «المفيد» التقية عندهم فقال: «التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا»، فهي عندهم كتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين، وهم أهل السنة عندهم(٢)، وهم بهذا يخرجون بالتقية إلى الكذب والنفاق، لأن التقية في الإسلام تكون من الكفار لا من أهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٨]، قال ابن جرير في تفسيره للآية: «ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك فقد بريء من الله، وبريء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: الآية ٢٨]، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم؛ فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر»(٣).

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة. قال ابن المنذر: «أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر»(٤).

ويظهر بوضوح من كلام ابن جرير السابق وإجماع أهل العلم المذكور هنا، أن التقية تكون عند الضرورة مع الكافرين، فهي لا تمثل نهجًا عامًا في سلوك المسلم، بل حالة مؤقتة مقرونة بالاضطرار، وتزول بزوال حالة الإكراه، ولكنها عند الرافضة من أصول مذهبهم، وحالة مستمرة وسلوك جماعي دائم.

يقول ابن بابويه: «والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله تعالى، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة»(٥).

وهذا النص يبين أن استخدام التقية عندهم يكون مع عموم المسلمين وفي جميع ديارهم، حتى إنهم يسمون دار الإسلام «دار التقية»، ويسمونها دولة الباطل، وقد جاء في رواياتهم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقية»(٦).

ويرجع السبب إلى القول بالتقية عند الشيعة الرافضة واعتبارها من أصول الدين إلى عدة أمور، منها:

الأول: أنهم يعتقدون أن خلافة الأئمة الثلاثة قبل علي باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار. مع أن عليًا بايعهم، وصلى خلفهم، وجاهد معهم، وهذا يناقض ما ذهبوا إليه في الخلفاء الثلاثة، فحاولوا الخروج من هذا التناقض بالقول بالتقية، وأن عليًا -وحاشاه- كان يستخدمها.

الثاني: أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم لا يسهون ولا يخطئون وغير ذلك، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، فاخترعوا القول بالتقية لدفع ما يمكن أن يظهر من تناقض أو اختلاف بين ما قالوه ونسبوه للأئمة وبين ما يقع منهم(٧)، ولهذا أصبحت التقية عند هؤلاء هي الكذب والنفاق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الرافضي ابن المطهر: «ولهذا رأس مال الرافضة التقية، وهي أن يظهر خلاف ما يبطن كما يفعل المنافق، وقد كان المسلمون في أول الإسلام في غاية الضعف والقلة، وهم يظهرون دينهم لا يكتمونه...، والرافضة حالهم من جنس حال المنافقين، لا من جنس حال المكره الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن هذا الإكراه لا يكون عامًا من جمهور بني آدم...، وفرق بين الكذب والكتمان، فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الاظهار، كمؤمن آل فرعون، وأما الذي يتكلم بالكفر، فلا يعذر إلا إذا أكره، والمنافق الكذّاب لا يعذر بحال...، وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا إذا استعمل معه النفاق، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد، يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالاً، ولا يترك شرًا يقدر عليه إلا فعله بهم»(٨).

وبعد توضيح عقيدة الرافضة في التقية أقول لأهل السنة: احذروا كذب الرافضة ونفاقهم باسم التقية، وعلى من يتعامل معهم في أي أمر من الأمور، أو يناقشهم في مسألة من المسائل أن يعلم هذا المعتقد عنهم حتى يأمن شرهم وكيدهم، وعلينا أيضًا أن لا ننخدع ببعض مواقفهم وتصرفاتهم، كما انخدع البعض بالخميني المتعصب لمذهب الرافضة، وكما انخدع بعض الناس أيضًا بحسن نصر الذي يدين بالطاعة والولاء لأئمة الرافضة ويسلك مسلكهم، وحزب الشيطان المسمى- زورًا وبهتانًا- حزب الله ينطلق من خلال التقية في تعامله مع المسلمين، ليكسب أنصارًا من السذج والبسطاء.

يقول أحدهم: «فالعامل بالتقية مجاهد علوي، لكنه يجاهد بيقظة وحذر، وبما يتسع له المجال، وليس قاعدًا متخاذلاً، وتاركًا لواجباته ومسئولياته كما يتصور السذج من المؤمنين، وليست التقية عملاً سريًا محضًا تجعل من الشيعة حزبًا أو جمعية سياسية سرية معارضة تعمل في الخفاء، وإنما هي أسلوب للعمل بطريقة حزب الله، وبصورة علنية تتناسب مع الظروف السياسية سعة وضيقًا»(٩).

مخالفة الشيعة الرافضة للمسلمين في مسائل من أصول الدين

الإيمان بالله وتوحيده وإفراده بالعبادة هو أصل الأصول في الدين، بل إن رب العالمين لم يخلق خلقه إلا لعبادته وحده دون سواه، ولكن الرافضة خالفوا في هذا الأصل وغيره من أصول الدين، وبيان ذلك في النقاط التالية:

١- جعل الرافضة النصوص الدالة على إفراد الله بالعبادة في ولاية الأئمة:

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٥]. قال القمي في تفسيرها: «لئن أمرْتَ أحدًا مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك»(١٠).

والآية كما نرى تهديد ووعيد لمن يشرك مع الله أحدًا، ولا توجد فيها إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى ولاية علي أو غيره، ومثل هذا التأويل الباطل ذكروه في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: الآية ١٢]، حيث قالوا في تفسيرها: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ [غافر: الآية ١٢] بأن لعلي ولاية، ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ [غافر: الآية ١٢] من ليست له ولاية، ﴿تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: الآية ١٢](١١).

وهذه طريقتهم في الآيات الآمرة بتوحيد الله في كتابه والناهية عن الشرك، جعلوها في ولاية علي، وعدم إشراك من ليست له ولاية معه، وهذا تحريف للنصوص، ومخالفة صريحة لظاهر نصوص كتاب الله تعالى، ومن البدهي أن نعلم هنا أن القرآن الكريم أمر في آيات كثيرة منه بإفراد الله بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النّساء: الآية ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣]، وغير ذلك من الآيات.

وقد جعل الله تعالى التوحيد وإخلاص العبادة له مع متابعة النبي ﷺ شرطًا لقبول الأعمال، ولكن الشيعة الرافضة ذهبوا إلى أن شرط قبول الأعمال هو ولاية أئمتهم الاثني عشر، بل اعتقدوا أن مغفرة

الله ورضوانه وجناته تكون لمن اعتقد الإمامة، وإن جاء بقراب الأرض خطايا، وأن الطرد والإبعاد والنار لمن لقي الله لا يدين بإمامة الاثني عشر(١٢)، وذكروا روايات كثيرة في هذا الضلال.

يقول ابن بابويه القمي: «إن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، وإن من لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئًا من أعماله»(١٣).

كما زعم أن جبريل- عليه السلام- نزل على النبي ﷺ فقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: «خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع ومن عليهن، وما خلقت موضعًا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبدًا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين، ثم لقيني جاحدًا بولاية علي لأكببته في سقر»(١٤).

٢- اعتقاد الرافضة أن الأئمة هم الواسطة بين الله والخلق:

اصطفى الله تعالى رسله من بين خلقه ليبلغوا أمره ونهيه إلى العباد، وكانوا بذلك هم الواسطة بين الله والناس، وذلك في تبليغ الوحي فقط، أما عبادة العبد ربه فلا تحتاج إلى واسطة مخلوق، فلا حواجز، ولا حجب بين الله وخلقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٦].

قال ابن تيمية في جواب على سؤال ورد إليه وهو: هل لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك ؟ فقال: «إن أردت بذلك أنه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما نهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده.... وإن أراد بالواسطة: أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجونه فيه، فهذا من أعظم الشرك، الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار»

وما ذكره ابن تيمية- رحمه الله- هو الحق الذي دلت عليه النصوص، ولكن الشيعة الرافضة يخالفون أيضًا ذلك، حيث يعتقدون أن الأئمة الاثني عشر هم الواسطة بين الله وخلقه، وأن الله لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، وقد ذكر «الحر العاملي» في أخباره عن الأئمة: «من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك»

وتبلغ بهم سخافة العقول إلى أن يرووا عن الرضا أنه قال: «لما أشرف نوح- عليه السلام- على الغرق دعا الله بحقنا، فدفع الله عنه الغرق، ولما رُمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردًا وسلامًا، وإن موسى- عليه السلام- لما ضرب طريقًا في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبسًا، وإن عيسى- عليه السلام- لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنُجي من القتل فرفعه الله»

وأنا أسأل الشيعة بعد هذه الأقوال: أين أنتم من قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، ومن قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٨٠]، وقوله:﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: الآية ١٤] ؟!

وأختم هذه الفقرة بما قاله الدكتور / موسى الموسوي في كلامه عن الغلو العملي عند الرافضة: «إن الغلو العملي يتجسد في طلب الحاجات الدنيوية والأخروية من الأئمة والاستغاثة بهم بصورة مباشرة- كما أن تقبيل الأضرحة هو أمر شائع في مراقد الأئمة والأولياء معًا»(١٢).

٣- اعتقاد الشيعة الرافضة أن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله الحرام:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وقد جاء الأمر به في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأجمع المسلمون على ذلك، ولكن الشيعة الرافضة يعتبرون زيارة قبور أئمتهم أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، ويروون في ذلك روايات باطلة ينسبونها إلى أئمة أهل البيت كذبًا وزورًا، ومن ذلك: «من أتى قبر الحسين- عليه السلام- عارفًا بحقه كان كمن حج مائة مع رسول الله ﷺ»(١٣).

ولم تقتصر رواياتهم على هذا الباطل، بل بالغوا في فضل هذه الزيارة حتى بلغوا بها ألف حجة وعمرة متقبلة وغير ذلك من ألوان العبادات، كما ذكر الحر العاملي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين- عليه السلام- من الفضل لماتوا شوقًا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه ؟ قال: من زاره تشوقًا إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا سَنَتَهُ من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين

يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سَنَتَهُ حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منادٍ: هذا من زار الحسين شوقًا إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين- عليه السلام-»(١٤).

فانظر أخي المسلم إلى هذا الكذب والافتراء، وتوزيع العطايا والأجور كما يزعمون دون حجة من كتاب أو سنة، وكأن الدين محصور في زيادة القبور والوقوف على الأضرحة.

ومما ينبغي أن يعلم أنهم لم يقتصروا على مجرد الزيارة ذات الأجر المشهور، بل أجازوا الطواف بأضرحة الموتى من الأئمة، والصلاة عند أضرحتهم، والانكباب عليها ووضع الخد عليها، وتقبيل الأعتاب، ومناجاة صاحب القبر حتى ينقطع النفس(١٥)، وهذه دعوة إلى الشرك وعبادة غير الله، وخروج على معتقد جميع المسلمين.

قال ابن تيمية- رحمه الله-: «وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل إلا للركنين اليمانيين، فالحجر الأسود يُستلم ويُقبل، واليماني يُستلم، وقد قيل إنه يُقبل وهو ضعيف، وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله ؛ كجوانب البيت، والركنين الشاميين، ومقام إبراهيم، والصخرة، والحجرة النبوية، وسائر قبور الأنبياء والصالحين، وفي الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وفي رواية لمسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١٦).

وما يزال الشيعة الرافضة إلى اليوم عاكفين على قبور أئمتهم، ومن يراهم ويرى ما يفعلونه هناك يعجب من عقول هؤلاء، وأئمتهم في الضلال يزينون لهم ذلك، فالخميني مثلًا يستحب الصلاة في مشاهد الأئمة وعند قبورهم، فيقول: «وكذا يستحب الصلاة في مشاهد الأئمة- عليهم السلام- خصوصًا مشهد أمير المؤمنين- عليه السلام-، وأبي عبد الله الحسين- عليه السلام-»(١٧).

وهناك معتقدات أخرى باطلة عند هؤلاء، ولكني أكتفي هنا بما ذكرت من باب الإيجاز، وفيما ذكر كفاية.

مهلاً يا دعاة التقريب

بعد العرض الذي ذكرته في نقاط محددة عن الشيعة الرافضة، أوجه الخطاب إلى دعاة التقريب بين السنة والشيعة الرافضة فأقول:

إن الشيعة الرافضة يخالفون جمهور المسلمين في أصول الدين وفروعه، فكيف يمكن الجمع بين هؤلاء وهؤلاء؟! ومن المعلوم ببداهة العقول أن الاجتماع بين طرفين يمكن أن يكون إذا كان بينهما توافق أو وجه شبه قريب، أما أن نقول بأنه يمكن أن يجتمع الليل والنهار، والظل والحرور، فهذا من باب المستحيلات.

إن مصادرنا في أصول الدين وفروعه تختلف عن مصادرهم، ولقد بينت من خلال هذا البحث ومن كتبهم أنهم يعتقدون أن القرآن الموجود بين أيدي المسلمين مُحرف، كما يكفرون سائر الصحابة- رضوان الله عليهم-، ولم ينج من تكفيرهم إلا النزر اليسير، وترتب على ذلك ترك روايتهم، وعدم الاعتماد على نقلهم، وبناءً على ذلك فهم لا يعتمدون على كُتب السنة والأحاديث الصحيحة الموجودة بين أيدي المسلمين اليوم، فكيف يقع اللقاء والاتفاق إذًا يا عقلاء العالم.

إنني أدعو عموم المسلمين أن يتجردوا من كل هوًى وعصبية إلا للحق، وأن يتبينوا مذهب الشيعة الرافضة من كتبهم، حتى لا ينخدعوا بكلمات مُنَمَّقَة، أو مواقف مبتورة، وليعلم الجميع أن هؤلاء الرافضة يستخدمون أسلوب التقية مع المسلمين، وقد أشرت إليها سابقًا، وما ذكرته عنهم من معتقدات باطلة مذكورة في كتبهم تكفي العاقل من أن يعلن براءته من هؤلاء نصحًا لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولعموم المسلمين، كما يجب علينا أن نحذر من المد الشيعي في بلاد المسلمين المؤيد من جهلة المتصوفة.

إننا- معشر أهل السنة- نغضب لله أمام قوم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وطعنوا على خيار هذه الأمة من الصحب الكرام.

إنه- والله- لن يكون الخميني، أو حسن نصر يومًا ما أحب إلينا وأقرب إلى قلوبنا من سادات الأولياء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم- رضي الله تعالى عنهم- من سائر أصحاب النبي ﷺ.

وأرى أنه لا عذر- بعد ذلك- لمؤمن يعظم شعائر الله أن يوافق هؤلاء، أو يرضى عنهم، فضلاً عن أن يعتقد معتقدهم، أو يدعو إلى بدعتهم وضلالتهم.



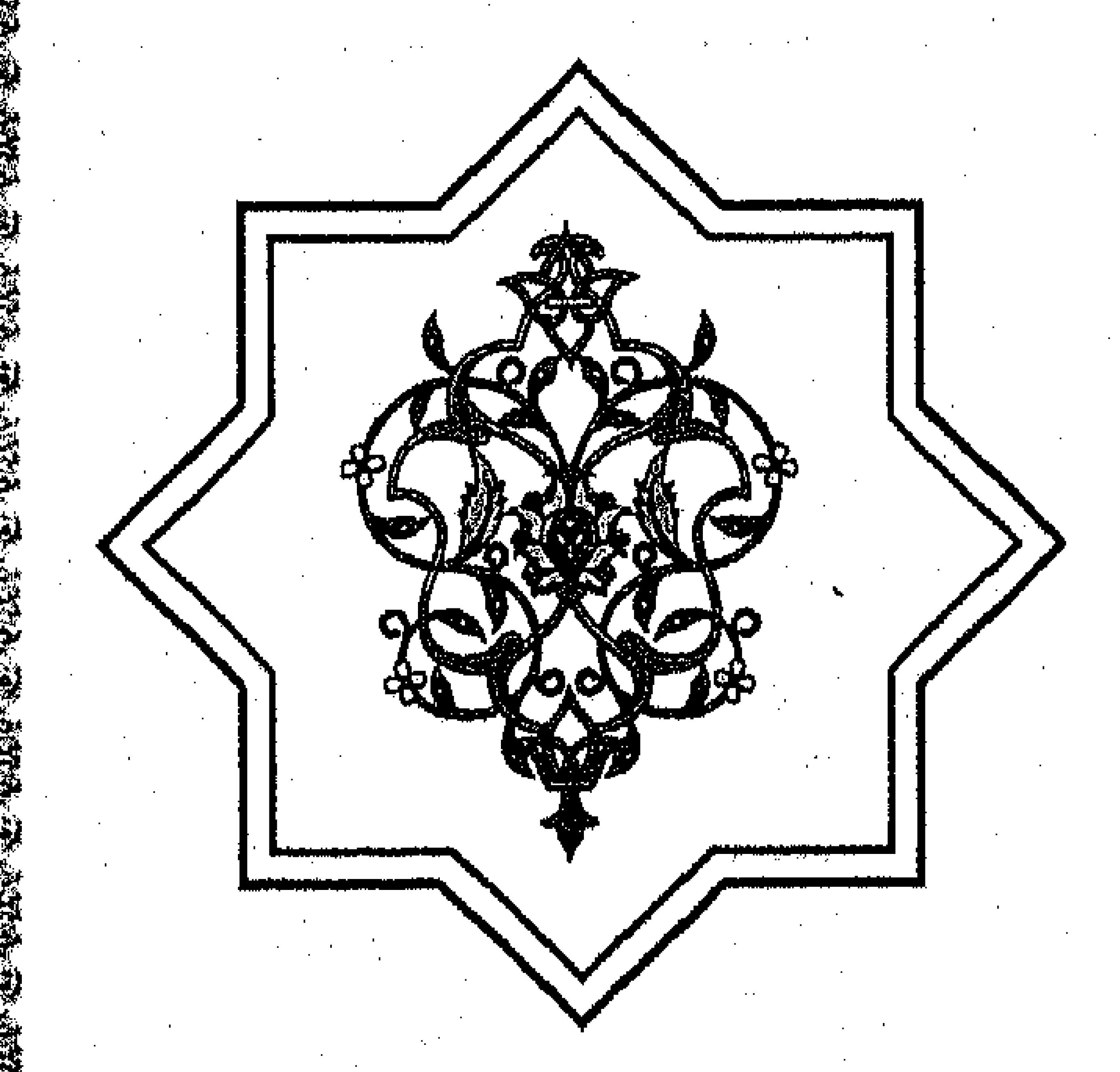
أيوب

«عليه السلام»

المحور الثالث

جني الثمار وذكر الآثار

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله الذي جعل في قصص أنبيائه عبرة لأولي الألباب وذكرى للمتقين، ومنها قصة أيوب- عليه السلام- والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي جاء بالحق وصدق المرسلين.

أما بعد: فقد آن أوان قطف الثمار، وجمع الفوائد الإيمانية من قصة أيوب- عليه السلام- بعد أن عرضناها عرضًا صحيحًا وردنا ما تناقلته الكتب حولها من إسرائيليات، وشبهات، ونستعين الله في ذكر هذه الفوائد كالتالي:

١- نفي تحريف أهل الكتاب وبخاصة اليهود وتبرئة الأنبياء مما ألحقوه بهم، فمن يقرأ قصة أيوب في القرآن وصحيح السنة ثم يقرأ ما ورد في التوراة(١) عنها يوقن أن أحد أهداف القصة في كتاب الله هو كشف التحريف الذي أصاب هذه القصة وغيرها، وتبرئة نبي الله أيوب وغيره من الأنبياء مما نسبه إليه الظالمون زورًا وكذبًا.

٢- ليس بالضرورة أن يكون البلاء بسبب الذنب؛ فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ قال: «أشدُّ الناس بلاء الأنبياء، ثُمَّ الصالحون ثم الأمثل فالأمثل». وقال ﷺ فيما رواه الترمذي وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- «يُبتلى الرجل على حسب دينه ؛ فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه». وكان ابتلاء أيوب من هذا النوع ولم يزده البلاء إلا صبرًا واحتسابًا وحمدًا وشكرًا، فكملَ في حقِّ أيوب نوعا البلاء ابتلي بالرخاء فشكر، وابتلي بالضراء فصبر، وقد أثنى الله عليه قائلاً- سبحانه-: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، وهو كذلك قد صدق فيه ومَنْ تاسَّى به إلى يوم القيامة ما صَحَّ عن النبيِّ ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كلّه خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». رواه مسلم.

٣- يقول ابن القيم- رحمه الله-: «إن الله سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على

السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال، لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإيماني والاستقامة». اهـ. مختصرًا.

أقول نعم وهذه سنة الله في ابتلاء أنبيائه وأوليائه، ولذلك عقب الله سبحانه في الموضعين اللذين ذكر فيهما قصة أيوب في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣]، فجعل سبحانه ما حدث لأيوب عليه السلام ذكرى للعابدين الذين هم أولو الألباب، ولعل في ذلك يتضح بعض آثار رحمة ربك وحكمته في ابتلاء الصالحين، وجعل أيوب في صبره وشكره مثلاً يحتذى، والله أعلم.

٤- أهمية دور الزوجة الصالحة في الوقوف مع زوجها في السراء والضراء، وقد ضربت زوجة أيوب مثلاً عظيمًا في الوفاء والصبر، وليت نساء المسلمين يتعلمن منها هذه الصفات الحميدة.

٥- كافأ الله زوجة أيوب على صبرها في الدنيا قبل الآخرة، فأعاد لها شبابها كأحسن ما يكون، وجعل لها مخرجًا من قسم أيوب رحمة بها لبرِّها بزوجها، فأمر أيوب أن يضربها ضربة واحدة بحزمة تحتوي على مائة عود خفيف.

٦- من الفوائد الهامة بيان قدرة الله- سبحانه- على إزالة البلاء وشفاء المرضى في أسرع مما يتخيل الناس وبأهون الأسباب ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

٧- استجابة الله السريعة لدعاء أنبيائه وأوليائه، وإذا أراد الله أمرًا هيأ له أسبابه فجعل الماء شرابًا ودواء: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

٨- ونتعلم من الآية السابقة ضرورة الأخذ بالأسباب حتى لو كانت ضعيفة، المهم أن يبذل العبد ما يملك من سبب ثم يترك النتيجة لله رب العالمين، فماذا تفعل قدم أيوب المريض التي أمره الله أن يضرب بها الأرض، وماذا تفعل أيد مريم- عليها السلام- عندما أمرها أن تهز بها جذع النخلة، وماذا تفعل عصا موسى حين أمره أن يضرب بها البحر، إن الفاعل هو الله- سبحانه- ولكنه عز وجل أمر عباده أن يأخذوا بالأسباب التي يستطيعونها، والله من وراء ذلك.

٩- تظهر معادن الناس عند الشدائد، فقد ظهر معدن زوج أيوب عند الشدَّة، كما ظهر معدن صاحبيه الطيب كما مر بنا في الحديث.

١٠- وفي الحديث الذي رواه البخاري نلاحظ أن من عادة بني إسرائيل الاغتسال عرايا ينظر بعضهم إلى بعض، فالتعرِّي عندهم مستساغ، وكانوا يعيبون على موسى عليه السلام ؛ لاغتساله وحده بعيدًا عنهم، ويبدوا أن ذلك كان جائزًا عندهم(٢).

١١- وهذا ما فعله أيوب عليه السلام فإنه اغتسل عريانًا وحده في خلوة، وقد علق البخاري رحمه الله على الحديث بجواز اغتسال الرجل خاليًا عريانًا وإن كان التستر أفضل، وفي الحديث جواز الاستكثار من فضل الله، وفيه تسمية الذي أفاض الله على أيوب بالبركة(٣).

هذا والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

﴿﴾ الهوامش ﴿﴾

(١) راجع سفر أيوب في العهد القديم ترى عجبًا يضيق الزمان والمكان عن ذكره هنا.

(٢) يرى ابن حجر رحمه الله أن اغتسال بني إسرائيل عرايا جميعًا ينظر بعضهم لبعض كان مباحًا عندهم وإلا لنهاهم موسى عنه، ولكنه عليه السلام نزه نفسه عن ذلك، والحديث في البخاري برقم (٢٧٨).

(٣) في الحديث الذي رواه البخاري أن الله أرسل لأيوب ذهبًا على هيئة جراد بعد أن أمطر عليه الذهب والفضة من السحاب.

الشيخ/ نور الدين الصومالي

حمل العقيدة الصحيحة إلى بلاد القرن الإفريقي

إعداد/ فتحي أمين عثمان

اسمه: نور الدين علي علو السلفي.

مولده: ولد في شمال شرق الصومال أوائل القرن العشرين.

تعليمه: حفظ القرآن الكريم وهو صغير.

حصل على الإجازة العالية من الأزهر الشريف كلية الشريعة عام ١٩٦٢م.

وظائفه: شغل منصب قاضٍ بالمحكمة الشرعية بالصومال، ونظرًا لشدة ذكائه وحرصه على الإخلاص في العمل رُقي إلى الوظائف العليا في وزارة العدل، حتى شغل منصب مدير عام وزارة العدل.

جهاده: بدأ يدعو إلى التوحيد الخالص، ونبذ البدع والخرافات والترهات التي علقت بالدين الإسلامي، وذلك في الخمسينات من القرن العشرين.

- أحس الاستعمار الإيطالي الذي كان يحتل الصومال آنذاك بخطورة دعوة الشيخ نور الدين، وأنها سوف تكون باعثة على طلب التحرر والاستقلال، وهذا هو ما شعر به الإنجليز في السودان من خلال دعوة الشيخ محمد عبد القادر الحسن وإخوانه أنصار السنة في السودان.

- قام الإيطاليون بحبسه مدة ثم أطلقوا سراحه، ولكن لم يسمحوا له بالإقامة في بلده، بل أمروا بطرده إلى منطقة «مقديشيو».

تأسيسه جماعة أنصار السنة المحمدية بالصومال

- لما وصل إلى مقديشيو أسس جماعة أنصار السنة المحمدية في الخمسينات، وبعد ذلك جاء إلى مصر ودرس بالأزهر الشريف بكلية الشريعة التي تخرج فيها عام ١٩٦٢م.

- وتعرف في هذه المدة على علماء أنصار السنة المحمدية الكبار أمثال الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، الرئيس السابق للجماعة، والشيخ محمد خليل هراس، أستاذ العقيدة بالأزهر الشريف وجامعة أم القرى، رحمهم الله.

وكتب في مجلة الهدي النبوي- لسان حال الجماعة في ذلك الوقت- العديد من المقالات في مختلف قضايا الاعتقاد أشهرها سلسلة مقالات تحت عنوان نواقض الإسلام.

تعرض فيها إلى:

- دعوة كل الرسل منذ نوح إلى خاتم الأنبياء والمرسلين وهي: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

- ثم تكلم بعد ذلك عن نواقض الإسلام،

فكتب أكثر من مقال ذكر فيه أن نواقض الإسلام:

- الشرك في عبادة الله تبارك وتعالى بأشكاله المختلفة.
- من جعل بينه وبين الله وساطة.
- الذبح لغير الله.
- النذر لغير الله.

وقد جمعت هذه المقالات ونشرت في كتابي تحت عنوان: «رسائل في الشرك والبدع».

قدم له رئيس الجماعة يومئذ الشيخ محمد صفوت نور الدين رحمه الله.

جهوده في الصومال بعد الاستقلال

- لما تحرر الصومال من الاحتلال الإيطالي، عاد الشيخ نور الدين إلى الصومال، وفتح مركزًا سلفيًا في العاصمة مقديشيو وجلس يدرس التفسير، والتوحيد وكان متفوقًا جدًا.
- وكان يستمد علمه في التفسير من تفسير الإمام الأكبر الشيخ مصطفى المراغي، ولم يكتف بذلك بل كان يقوم بإلقاء التفسير باللغة الصومالية حتى يفهم الطلاب والعوام.

وأثمرت دعوته الكثير من الخير فزاره الكثير من العلماء وتأثروا بدعوته، وقد تأثر بدعوته وكان من مؤديه اللواء محمد أنيشر رئيس شرطة الصومال، الذي وفر له الحماية، مما أدى إلى نشر الدعوة، فجزاه الله خير الجزاء.

وكذلك تأثر بدعوته السلفية كل من: الشيخ حسن الطيب من العلماء- في ذلك الوقت-، والشيخ عبد الرحمن قولوا، وكان عالمًا ويقوم بالتدريس في المدارس الصومالية، والشيخ محمود نبيل، كان من العلماء المشهود لهم في الصومال.

ومن ثَمَّ يُعتبر الشيخ نور الدين الصومالي هو المؤسس الأول للنهضة الدينية في الصومال، وقد تأثر في دعوته بكل من الشيخ رشيد رضا، صاحب المنار، والعلامة الشيخ حامد الفقي، وقد واظب على الكتابة في مجلة الهدي النبوي في الخمسينات، حيث كان يكتب في المجلة شيوخ كبار أمثال الشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ أبو الوفا محمد درويش، والشيخ محمد خليل هراس، والعلامة أحمد شاكر، والإمام الأكبر محمود شلتوت، والشيخ محمد محمد مخيمر، مفتش الوعظ بالأزهر.

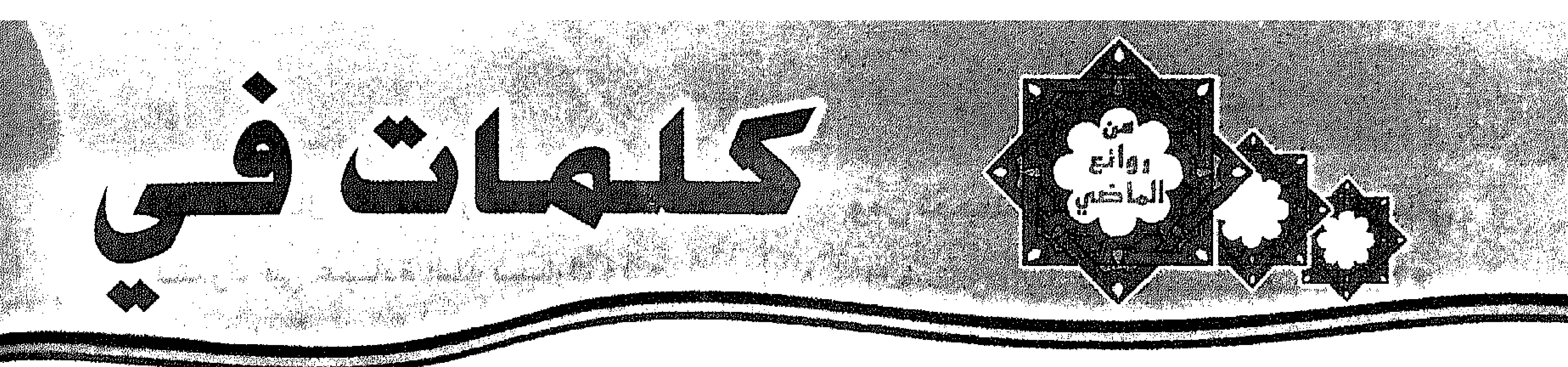
ومن مؤلفاته وعطائه العلمي أيضًا: كتاب بَيَّنَ فيه عقيدة التوحيد وسماه: «هداية المستفيد»، ولم يتيسر لي العثور على نسخة منه حتى الآن.

وفاته: توفي الشيخ نور الدين الصومالي عام ١٩٧٧م عن عمر يناهز المائة عام، ومع ذلك كما ذكر لي أحد تلامذته «عبد الله عمر نور» خريج الجامعة الإسلامية وداعية الصومال: «إن الشيخ ظلت حافظته قوية ولم يختلط ولم يهم، وكان إذا أراد الاستشهاد بآية كأنها في فيه». والعهدة على الراوي.

وقد ترك عائلة كبيرة من الأولاد والأحفاد، نفع الله بهم الدعوة في الصومال،

رحم الله الشيخ، وجعله مع صالح دعاة التوحيد.

هذا وبالله التوفيق.



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وبعد:

فإن العمل الدعوي هو أشرف الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وإن الله سبحانه قد اصطفى أمة للدعوة كان أولهم رسول الله ﷺ الذي ضرب المثل الأعلى في الإحسان في القول والعمل والدعوة إلى الله سبحانه، ثم كانت القرون من بعده هم خير القرون، حيث قال ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». فترك أهل هذه القرون لمن بعدهم خير ميراث؛ حيث دعوا إلى الله سبحانه بخير المقال وخير المثال، فكانت أفعالهم خير الأفعال، وأقوالهم أجمل الأقوال، فكان بذلك منهج أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية المنصورة، التي لا يزال المسلمون يستقون طيب السمعة من تبعيتهم لهذا المنهج، وهو اقتداؤهم بنبيهم في اعتقادهم وعبادتهم لربهم، وبذلك حمى الله دعوته وأبقاها، فهو القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال النبي ﷺ: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

بقلم الشيخ /

محمد صفوت نور الدين

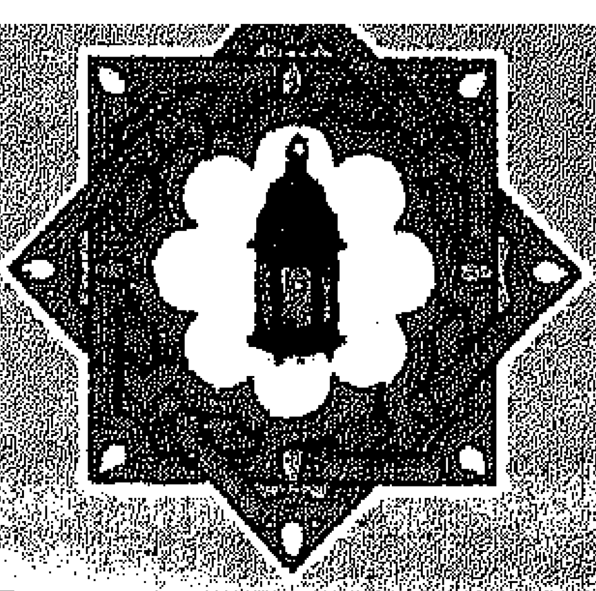
- رحمه الله -

وقال ﷺ: «إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا».

لذا فإن أعداء دعوة الإسلام- على كثرتهم في كافة الأعصار وعلى مر الدهور، لم يستطيعوا أن يزيلوا أهل الحق، ولكن ما كان من بأس بين بعض المسلمين وبعضهم هو الذي ولّد الفرق التي ظهرت وأشاع الفُرقة التي اشتدت، حتى صار بعضهم يقتل بعضًا، ويأسر بعضهم بعضًا، واعلم أن النبي ﷺ الذي ذكر ذلك قد وضع الدواء الناجع لذلك، فقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

وإن الناظر إلى صفحة الإسلام العريضة على وجه الأرض يرى أن المسلمين يعيشون بين فئات، نجمل الحديث عن أقسامها:

١- أعداء يتربصون بهم الدوائر يستهينون بدمائهم وأعراضهم وديارهم وأرضهم ومقدساتهم، فيمنعون عنهم الماء والطعام إن استطاعوا، ويذبحون أبناءهم ورجالهم إن استطاعوا، ومع ذلك نجد ممن ينتسب إلى الإسلام من يتولاهم ويسير خلفهم وينفذ أوامرهم، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ



اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وسورة المائدة عامرة وزاخرة بالبيان الشافي في ذلك.

٢- أهل ضلال يحاولون نشر ضلالتهم بين المسلمين وهم يظهرون للناس أنهم على الإسلام الصحيح، ومن أخبث تلك الفرق فرق الروافض الذين يزعمون حب أهل البيت وموالاتهم، وهم في ذلك كاذبون أفاكون، حتى صرت ترى دعوة التقارب بين السنة والشيعة تملأ بلاد أهل السنة وهم لا يكفون عن سب الصحابة، بل يسبون منهم ولا يكفون عن رفض السنة وتحريف معاني القرآن، بل الادعاء أن بالقرآن تحريفًا وغير ذلك من الضلالات بل الكفريات، دون أن تجد التحذير الكافي من المسلمين وعلمائهم؛ لأنهم انشغلوا بما دون ذلك من الخلافات التي بينهم، وينبغي أن يَحْذر المسلمون من فرق الضلال وتسرب أفكارهم الضالة بين معتزلة ومرجئة وخوارج، وأشد من ذلك هؤلاء الشيعة الروافض.

٣- دعاة السنة وقد دست بينهم التحزبات والتشرذمات التي جعلت منهم دعاة لجماعاتهم لا لدعوة الإسلام، وصار عَقْد الولاء والبراء على رموز وضعوها أو أشخاص ادعوا لهم الزعامة فوالوا على اتباع مناهج وعادوا على مخالفتهم، حتى ترى منهم الولاء في موضع البراء، والبراء في غير موضع البراء، ويشتد العداء ويستحكم الخلاف الذي يشوه عملهم ويسوء جماعتهم.

٤- دعاة انتسبوا إلى السلفية، لكن الشيطان استهواهم حتى جعلهم يتركون العلم النافع والدعوة الصحيحة إلى الحديث عن الأشخاص واستباحة الأعراض والتلويح بالتبديع والتفسيق، وتعجب عندما ترى أحدهم من فوق منبره ينادي من غاب عن مجلسه- من إخوانه الدعاة أو غيرهم قائلاً: افعل كذا، وافعل كذا، كأن سمعهم يمتد أو صوته يبلغ مسامعهم، ثم يزعم أنه يقدم لإخوانه النصح بين هذه التيارات والأمواج المتلاطمة.

إننا نعيش أمر الدعوة موقنين أن الذي يصونها هو الله وحده، فليست الحكومات وجيوشها ولا الجماعات ودعاتها، ولا الكُتَّاب ومؤلفاتهم هي التي تصون؛ إنما الله سبحانه الذي قال: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

جماعة أنصار السنة المحمدية تقوم بالدعوة على نهج سلف الأمة

هذا، وإن جماعة أنصار السنة المحمدية والتي تقوم بالدعوة إلى الله سبحانه على نهج سلف الأمة منذ ما يزيد عن ثلاثة أرباع القرن، وقد انسلخ من عمر مجلتها «الهدي النبوي»، ثم «التوحيد» أكثر من ستين عامًا، قد ترك لها المؤسسون سمعة طيبة وطريقة حسنة واضحة لا يُحمد فيها إلا الله، فهي قائمة بفضله وحده وتوفيقه، فهم لا يعظمون فيها الرجال إنما الولاء على أصل الإسلام، لا يحاكمون الناس إلى أقوال الشيوخ المؤسسين، ولا الزعماء المقدمين الأحياء منهم والأموات، إنما يدعون إلى قول رب العالمين، فهو المنهج القويم الذي من تركه ذل وضل، ومن اعتصم به اهتدى وفاز ونجا، فنسأل الله أن يقوِّم منها كل اعوجاج، وأن ييسر لها كل عسير، وأن يقيها الزلل، وأن يقيلها من كل عثرة، وأن يبقى خطها الدعوي بضوابطه الأصيلة، القرآن والسنة بفهم سلف الأمة مجتنبين المحدثات، مستفيدين من التقنيات الحديثية في وسائل دعوتها إلى الله سبحانه.

والجماعة تبسط يدها للتعاون مع كل عامل بالبر والتقوى، راجية من الله أن يجنبها الإثم والعدوان، موقنة أن المنهج الصواب باق بإبقاء رب العالمين له، عالمة أن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، وأن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة، ويد الله مع الجماعة.

والله من وراء القصد.



من نور كتاب الله

احذر أن يمنعك الشيطان شكر المنعم

قال إبليس- عليه لعنة الله- متوعداً بني آدم: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤- ١٧].

من هدي رسول الله ﷺ في شهر شعبان

عن أسامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: شعبان بين رجب و شهر رمضان تغفل الناس عنه ترفع فيه أعمال العباد فأحب أن لا يرفع عملي إلا و أنا صائم. (صحيح الجامع).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله. وفي رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلاً. (متفق عليه).

من دلائل نبوته ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر. (البخاري).

من فضائل الصحابة

عن علي رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة ساقيه (أي أنه كان دَقِيقَ السَاقَيْن) فقال رسول الله ﷺ ما تضحكون، لَرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان من أحد. [الأدب المفرد]

من أقوال السلف

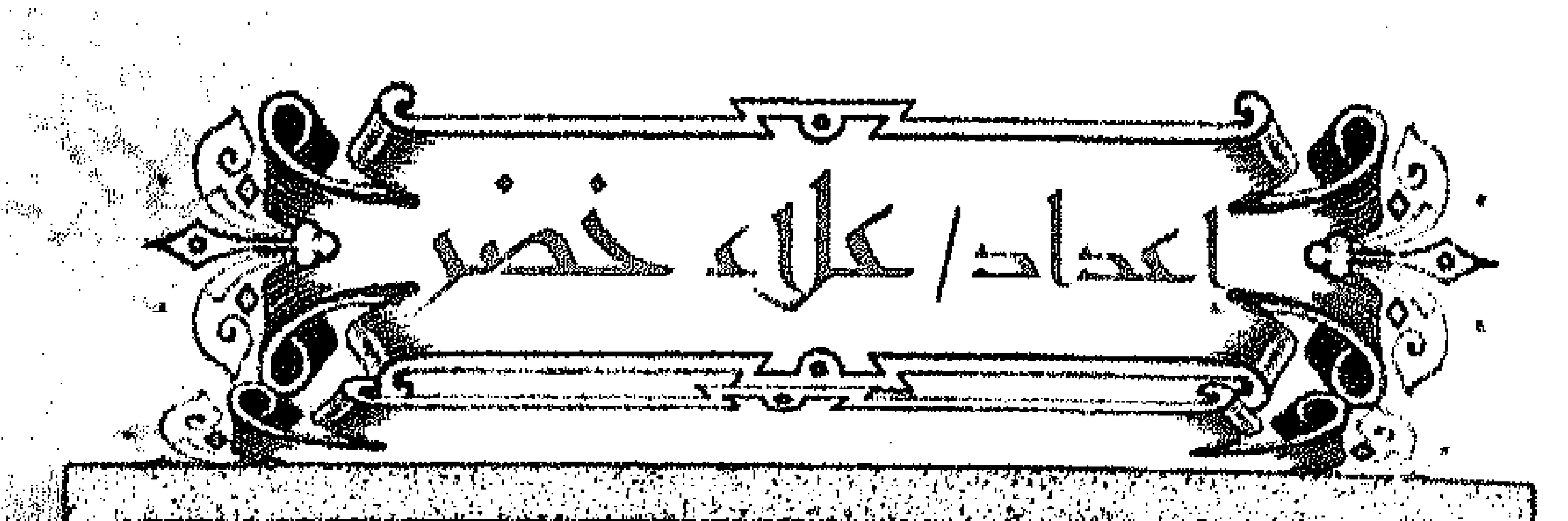
عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم. قال الله تعالى لنبيه (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين). [متفق عليه].

عن حسان رضي الله عنه قال ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة. [رواه الدارمي].

حكمٌ ومواعظ

عن شبيل بن عوف قال: كان يقال من سمع بفاحشة فأفشاها فهو فيها كالذى أبداها.

عن أبى خلدة قال: جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبى العالية وعليه ثياب صوف، فقال أبو العالية: إنما هذه ثياب الرهبان إن كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا. [الأدب المفرد].



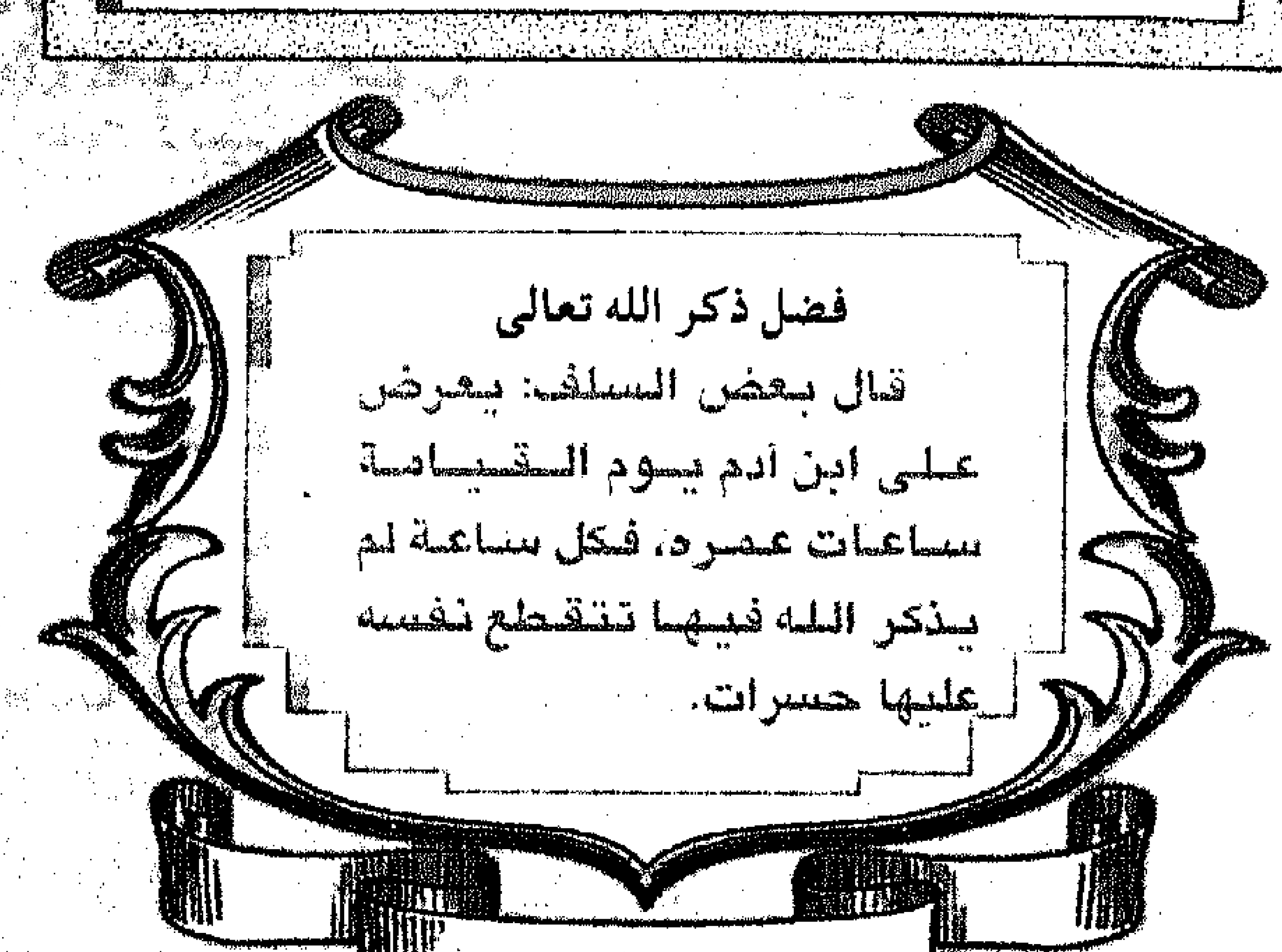
من جوامع الدعاء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يدعو بهذا: «رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، ويسر لي الهدى وانصرني على من بغى عليَّ، رب اجعلني شكارًا لك، ذكارًا راهبًا لك، مطواعًا لك مخبتًا لك، أواهًا منيبًا، تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي». [الأدب المفرد].

العلم قبل الاعتقاد و العمل !

قال الحسن البصري: العامل علي غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح فاطلبوا العلم لا تضروا بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا تضروا بالعلم فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم علي أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم علي ما فعلوا.

[جامع بيان العلم]



فضل ذكر الله تعالى

قال بعض السلف: يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات.

من حكمة الشعر

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في من يدعي الود:

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متلونٍ
إذا الريحُ مالَتْ مالَ حيثُ تميلُ

جواد إذا استغنيتَ عن أخذِ ماله
وعند احتمالِ الفقرِ عنك بخيلُ

فما أكثرَ الإخوانَ حينَ تعدهمْ
ولكنهم في النائباتِ قليلُ

(مجمع الأمثال).

من سير الأصحاب

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أن الطفيل بن أبي بن كعب أخبره أنه كان يأتي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا يسلم عليه، قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوما فاستتبعني إلى السوق فقلت ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق، فاجلس بنا ها هنا نتحدث، فقال لي عبد الله: يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن إنما نغدو من أجل السلام على من لقينا. [الأدب المفرد].

صحح لغتك

هوَى- يهوِي. (سقط يسقط) أما هوِيَ- يهوَى. فبمعنى (أحبُّ يحبُّ).

الجدّ (العظمة والمكانة / أبو الأب والأم) أما الجِدّ فهو: (نقيض الهزل /مصدر الفعل جَدَّ).

المنهج الإسلامي

الحلقة الثامنة عشرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ذكرنا في الحلقة السابقة العلاقة بين حديث الإفك وبين المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة، وأن حديث الإفك تجربة واقعية وتطبيق عملي للمنهج الذي وضعه المشرع، ثم انتقلنا إلى الكلام عن القذف وخطورته وأثره الهدّام في تماسك بناء المجتمع.

ثم تكلمنا عن مجتمع المدينة وعن الأصناف التي كانت تعيش به:

١- المنافقون وكيف كانوا يكيدون للإسلام، وتلونهم من الكيد الظاهر إلى الدس الخفي والإرجاف بين المسلمين، ولما باءت كل محاولاتهم بالفشل، لجأوا إلى الخوض في الأعراض، مع أن الخوض فيها ليس من طبائع العرب ولا من شيمهم السائدة.

٢- اليهود وعداؤهم السافر للرسول ﷺ، وانضمام المنافقين إليهم، وما الخوض في الأعراض والتشبيب بالنساء إلا بضاعة يهودية.

ونستأنف البحث- إن شاء الله-:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

إن مدار حديث الإفك عليها، لذا فنحن نحب أن نتوقف معها ومع فضلها، إن براءة عائشة رضي الله عنها من حديث الإفك من معتقداتنا التي ندين الله تعالى بها، وقد أنزل الله براءتها في قرآن متلو إلى يوم القيامة.

ولكنا باستقراء فضلها، سنرى استحالة وقوعها في الفاحشة شرعًا وعقلاً.

– هي أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ، كما بحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه لما سأل النبي ﷺ: أيُّ الناس أحب إليك يا رسول الله ؟ قال: «عائشة». قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم مَن؟ قال: «عمر»، فعد رجالاً. (متفق عليه).

فأحب النبي ﷺ أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته في زمانها.

– جبريل عليه السلام يقرئها السلام، كما بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة، هذا جبريل يقرئك السلام»، فقلت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم. [رواه البخاري].

– يراها النبي ﷺ في رؤيا، قبل زواجه بها، كما بالحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أُريتك في المنام يجيء بك الملك في سَرَقَة (أي: قطعة) من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب، فإذا أنتِ هي». فقلت: «إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه».

[متفق عليه].

وفي رواية مسلم: «أُريتك في المنام ثلاث ليال...».

ورؤيا الأنبياء حق، فالله تعالى هو الذي زوّج نبيه ﷺ عائشة رضي الله عنها، فهي اختيار الله لخير خلق الله، أفيختار الله لخير خلقه وخير من مشى على الأرض بقدميه، ومن جعل الله اتباعه شرطًا لنيل محبته سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، صاحب لواء الحمد، والكوثر، والوسيلة، والشفاعة العظمى، وأول من يُحرك حلق الجنة فلا يدخلها أحد قبله، امرأة تدنس فراشه؟!

أم أن الله لا يعلم حين اختارها لنبيه أنها

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

كذلك. (حاشاه)، فهذا قول القدرية الخبيث. وهل زنت زوجة نبي قط؟ حتى تزني زوجة خير الخلق، لقد كفر أزواج الأنبياء، لكن لم تزن واحدة منهنَّ قطُّ، فالأنبياء في مجموعهم جاءوا بعد توحيد الله تعالى بمحاسن الأخلاق ومكارمها، فكيف يدعو النبي أتباعه إلى العفة والفضيلة والحياء والطهر، ثم يكون فراشه مدنسًا، وامرأته يغشاها الرجال؟!

فهل يقبل الناس دعوته وإن جاءهم بالآيات الباهرات؟!

ونريد أن نقف عند قوله تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

فللعلماء فيها عدة تفسيرات:

- المعنى الأول- وقاله أكثر المفسرين-: أن الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والكلام، والطيبات من القول والكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول والكلام.

والمعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبث من الناس، والطيب لا يليق إلا بالطيب من الناس، فعائشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبيثات من القول ؛ لأنها طيبة، فيضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحَسن وما يليق بها.

- المعنى الثاني: لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذم للذين قذفوا عائشة رضي الله عنها، ومدح للذين برؤوها بالطهارة.

- المعنى الثاني: أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، أمثال عبد الله بن أُبي والشاكِّين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين

إعداد/ متولي البراجيلي

من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، يريد عائشة رضي الله عنها طيَّبها الله لرسوله الطيب.

وأيًا كان المعنى، فالآية مسوقة لبيان سنة الله في خلقه؛ في أن يسوق كل صنف إلى صنفه، وأن يقع كل طير على شكله، «والطيور على أشكالها تقع»، فما كان الله ليجعل عائشة رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ إلاَّ وهي طيبة؛ لأنه أطيب من كل البشر، ولو كانت خبيثة ما صلحت له شرعًا ولا قدرًا.

- في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

«أولئك»: اسم الإشارة يعود على الطيبين، وقيل: يعني به عائشة، وصفوان، رضي الله عنهما، وجاءا بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾.

والمراد: أخوان، وقيل: بل الطيبون تشمل الجنس كله، أي كل جنس الطيبين، وعلى المعنيين تدخل عائشة وصفوان رضي الله عنهما في الآية.

- «لهم مغفرة»: أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب، «ورزق كريم»: أي عند الله في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون عائشة زوجة رسول الله ﷺ في الجنة.

ولقد أحب رسول الله ﷺ عائشة حبًا عظيمًا، والحب رزق من الله، كما قال النبي ﷺ لما عاتبه بعض أمهات المؤمنين في حبه عائشة، فقال: «لقد رُزقت حبها».

فما كان الله ليحببها لنبيه المعصوم ﷺ، لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم. (تفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، وتفسير السعدي، وإعراب القرآن الكريم، بتصرف).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد أُعطيتُ تسعًا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا، وما تزوج بكرًا غيري، ولقد قُبض ورأسه في حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفَّت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفة وصديق، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وُعدت مغفرة ورزقًا كريمًا.

(قال الإمام الذهبي: إسناده جيد).

- وحبه ﷺ لعائشة كان مستفيضًا، وكان الصحابة يعلمون ذلك ويتحرون بهداياهم يوم عائشة تقربًا إلى مرضاته.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بها، أو يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (متفق عليه).

- وانظر إلى هذا الحديث الطويل الذي يبين مدى حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها، فعن عائشة: أن نساء رسول الله ﷺ كنَّ حزبين، فحزب فيه: عائشة، وحفصة، وصفية، وسودة، والحزب الآخر: أم سلمة، وسائر نساء رسول الله ﷺ.

وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخَّرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فكلَّم حزب أم سلمة فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدها حيث كان من نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئًا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا، فقلن لها: فكلميه، قالت: فكلمته حين دار إليها أيضًا فلم يقل لها شيئًا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته فقال لها: لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة.

قالت: فقلت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله، ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: «يا بنيَّة ألا تحبين ما أحبُّ؟» قالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن. فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش فأتت فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها، حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة: هل تكلَّمُ ؟ فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها، قالت: فنظر النبي ﷺ إلى عائشة فقال: إنها بنت أبي بكر. (متفق عليه).

- والعدل الذي يطلبه أمهات المؤمنين هو محبة القلب، وهذا غير مستطاع لأن الحب رزق من الله تعالى، والله يقلب القلوب كيفما شاء، وإلاَّ فالنبي ﷺ كان يعدل بينهنَّ في غير محبة القلب، كالمبيت والنفقة ونحو ذلك.

قال النووي في شرح مسلم: وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها، ولا يلزمه التسوية فيها، لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال.

وفي الحديث غيرة النساء التي عفى عنها طالما لا تؤدي إلى محظور شرعي، والغيرة من النساء تكون لفرط المحبة.

- ومن محبته لها ﷺ تقبيله لها وهو صائم، كما بالحديث عن مولى عمرو، قال: بعثني عبد الله بن عمرو إلى أم سلمة: سلها أكان رسول الله ﷺ يقبِّل وهو صائم ؟ فإن قالت: لا. فقل: إن عائشة تخبر الناس أنه كان يُقبل وهو صائم. فقالت: لعله أنه لم يكن يتمالك عنها حبًا، أما إياي، فلا.

(مسند أحمد، قال شعيب الأرنؤوط، وسنده جيد).

- ومن محبته لها ﷺ مسابقتها في العدو، كما بالحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: سابقني النبي ﷺ فسبقته ما شاء، حتى إذا أرهقني اللحم، سابقني، فسبقني. فقال: «يا عائشة، هذه بتلك». (صحيح سنن أبي داود وغيره).

ومن محبته لها ﷺ أنه كان يضع فاه على موضع فاها من الطعام والشراب، فعن عائشة

رضي الله عنها قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ، فيشرب، وأتعرَّقُ العَرْق (العظم بلحم) وأنا حائض، ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم، فيضع فاهُ على موضع فيَّ. (صحيح مسلم).

- ومن محبته لها ﷺ أنه كان يتكئ على حجرها- حتى وهي حائض- فيقرأ القرآن كما بالحديث عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن.

(متفق عليه، واللفظ لمسلم).

- ومن محبته لها ﷺ أنه كان في معتكفه يدني رأسه من عائشة في حجرتها فترجل شعره، كما بالحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا اعتكف، يُدني إليَّ رأسه فأرجِّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان.

(متفق عليه، واللفظ لمسلم).

وكانت عائشة رضي الله عنها تبادئ النبي ﷺ بالمحبة وتبادله بها، ومن أدلة ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلَّم عليها، ثم سار حتى نزلوا وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر، وتقول: ربِّ سلط عليَّ عقربًا أو حية تلدغني ولا أستطيع أن أقول له شيئًا. (متفق عليه).

- وسير النبي ﷺ مع عائشة ليس من القسم بين الزوجات، فعماد القسم في حق المسافر هو وقت النزول (يعني ليس طريق السفر)، فحالة السير ليست منه، سواء كان ليلاً أو نهارًا.

وما فعلته عائشة من جعل رجلها بين الإذخر، وقولها ما قالت حملها عليه فرط الغيرة وشديد حبها لرسول الله ﷺ.

وانظر إلى حوار المحبة الراقي بين رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها، فعن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى». قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك ؟ فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنتِ غضبى قلتِ: لا ورب إبراهيم». قالت: قلت: أجل، والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

- وعن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. (متفق عليه).

- أما عن علمها، فهي أفقه نساء الأمة وراوية الحديث، والحافظة لأشعار العرب وأيامها وأنسابها. يُسأل مسروق: هل كانت عائشة تحسن الفرائض (المواريث)؟ قال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض. (أخرجه الدارمي وغيره).

- وعن عروة قال: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب، منها. فقلت لها: يا خالة، الطب من أين عُلِّمتيه؟ فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض، فأحفظه.

(أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقال الأرنؤوط رجاله ثقات).

ويقول الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل.

- وعن الشعبي: أن عائشة قالت: رويت للبيد نحوًا من ألف بيت، وكان الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة.

وهي الزاهدة في الدنيا ومتاعها، لا تمسك مالاً لها، فقد بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين، يكون مائة ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست، قالت: هاتي يا جارية فطوري. فقالت أم ذرة (الجارية): يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشتري لحمًا بدرهم ؟ قالت: لا تعنفيني، لو أذكرتيني لفعلت.

(أخرجه أبو نعيم في الحلية، ورجاله ثقات).

- وعن عروة أن عائشة تصدقت بسبعين ألفًا،

وإنها لترقع جانب درعها رضي الله عنها.

- وبعث إليها معاوية بقلادة بمائة ألف، فقسمتها بين أمهات المؤمنين.

- وكانت رضي الله عنها صوامة، كما بالحديث عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، أن عائشة كانت تصوم الدهر. وبلفظ: أن عائشة كانت تسرد الصوم. (سير أعلام النبلاء للذهبي).

(فائدة: سرد الصوم (صيام الدهر): للعلماء فيه أقوال مختلفة:

١- كراهة صوم الدهر مطلقًا ؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من صام الأبد فلا صام ولا أفطر». (صحيح النسائي وغيره).

وحديث: «لا صام من صام الأبد». (متفق عليه).

وهذا مذهب أهل الظاهر، ورواية عن الإمام أحمد، ورجحه الشيخ الألباني.

٢- الجواز، وحملوا أحاديث النهي على من أدخل فيه العيدين وأيام التشريق، لورود النهي عن صيامها.

٣- الاستحباب، لمن قوي عليه ولم يفوِّت فيه حقًّا، وحجتهم حديث حمزة بن عمرو الأسلمي أنه قال: يا رسول الله، إني أسرد الصوم، فلم ينكر عليه.

وأجيب عن ذلك بأنه لا يلزم من السرد صيام الدهر كله، بل السرد التتابع.

والراجح - والله أعلم-: القول الأول ؛ لقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: لا أفضل من ذلك لما أراد أن يصوم كل يوم.

وقال رسول الله ﷺ: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه». (متفق عليه).

- وبلغ عمر بن الخطاب أن رجلاً يصوم الدهر، فأتاه فعلاه بالدِّرة، وجعل يقول: كل يا دهري.

(صحيح، رواه ابن أبي شيبة).

وكره ابن مسعود صيام الدهر.

وفوق ذلك كله أنه لم يثبت أن النبي ﷺ كان يصوم الدهر، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وأولى أن نحمل السرد في فعل عائشة وغيرها على الإكثار من الصيام لا صوم كل يوم).

وظل حب النبي ﷺ لعائشة طوال فترة زواجه بها، حتى أن الله تعالى قدَّر له أن تكون عائشة هي آخر من يراها وتسمعه ويموت بين سحرها ونحرها ﷺ ، كما بالحديث: قالت عائشة: توفي رسول الله ﷺ في بيتي، وفي يومي وليلتي، وبين سحري ونحري. (السحر: الرئة، النحر: أعلى الصدر). ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رطب، فنظر إليه، حتى ظننت أنه يريده، فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إليه، فاستنَّ به كأحسن ما رأيته مستنًا قطُّ، ثم ذهب يرفعه إليَّ، فسقطت يده، فأخذت أدعو له بدعاء كان يدعو به له جبريل، وكان هو يدعو به إذا مرض، فلم يدع به في مرضه ذاك، فرفع بصره إلى السماء، وقال: «الرفيق الأعلى». وفاضت نفسه، فالحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا.

(أخرجه أحمد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي).

- وتوفيت رضي الله عنها في نحو الثالثة والستين من عمرها، بعد أن صلت الوتر في الليلة السابعة عشرة من رمضان، ودفنت ليلاً، ولم ير ليلة أكثر ناسًا منها ودفنت بالبقيع.

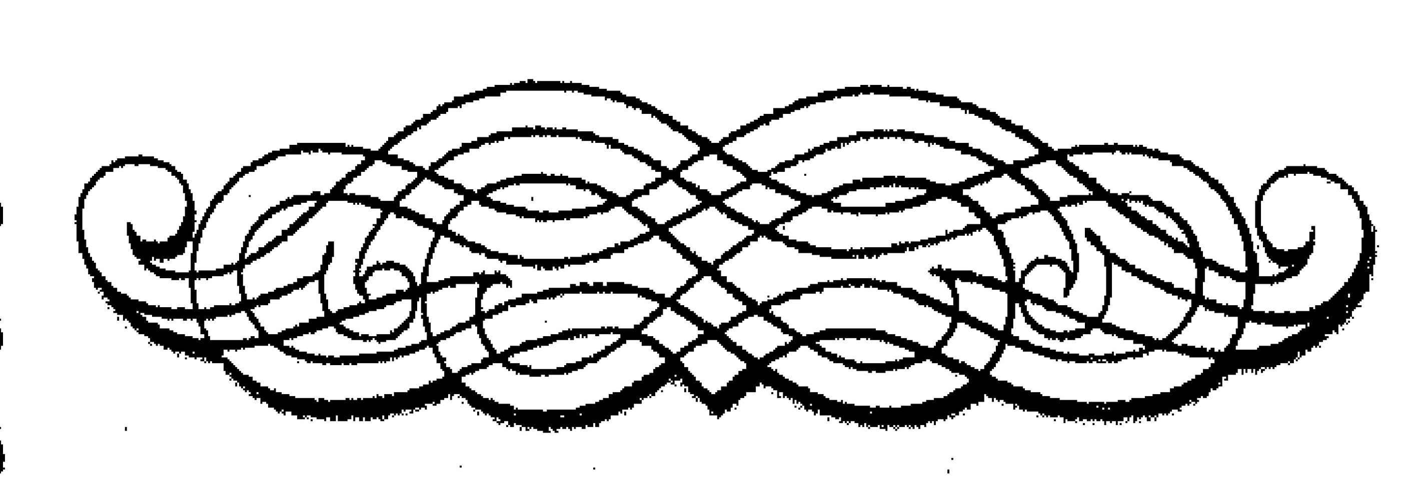
فرضي الله عنها، كانت تتمثل ببيت شعر للبيد، يبين مدى حزنها لمفارقة رسول الله ﷺ في الدنيا (وهي زوجته في الآخرة، كما أخبرها رسول الله ﷺ):

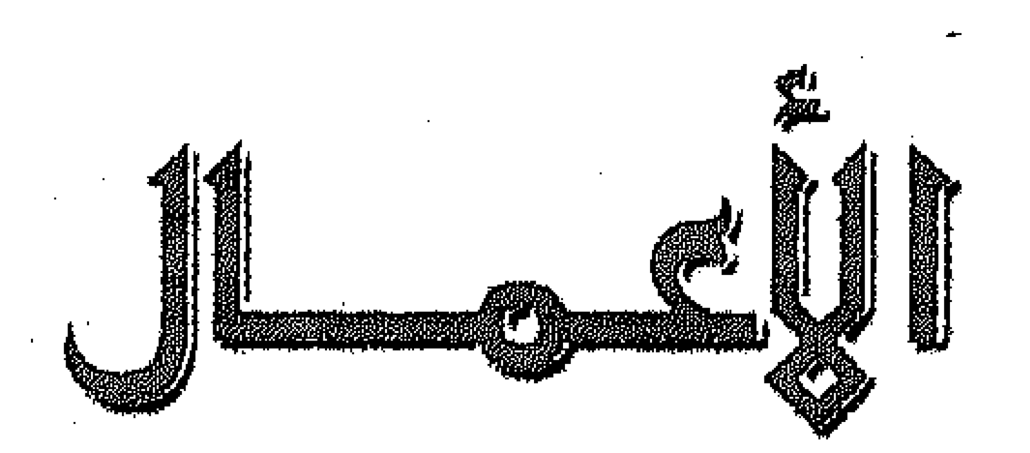
ذهب الذين يُعاش في أكنافهم
وبقيت في خَلْف كجلد الأجرب

وبعدُ: رأينا بعضًا من فضل عائشة رضي الله عنها وعظيم شأنها وقدرها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبالله عليك، أهذه امرأة يُقال فيها ما قاله اللعين ابن سلول !!

إن ما قاله فيها لا نرضاه نحن أن يُقال عن زوجاتنا، وهنَّ لا يبلغن شيئًا من فضل عائشة رضي الله عنها.

وللحديث بقية إن شاء الله.





محبطات الأعمال

إعداد/ عبده الأقرع

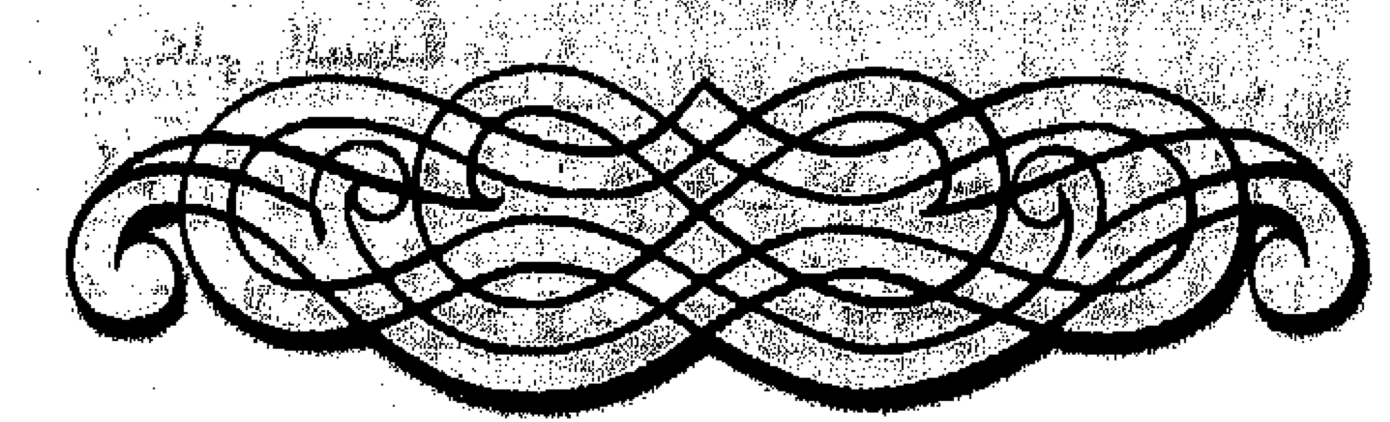
الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، أما بعد:

فمع المحبط الثاني للأعمال وهو:

﴿﴿ «الريـــــاء» ﴾﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عَمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه». [رواه مسلم].

قال النووي رحمه الله: ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل، لا ثواب فيه، ويأثم به.



قلت: جاء عن أبي سعيد بن أبي فضالة أن النبي ﷺ قال: «وإذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك». [صحيح الجامع ٤٨٢، والمشكاة ٥٣١٨].

ففي هذا دلالة على رد العمل على صاحبه، فالإخلاص للأعمال كالروح للأجسام، والأعمال معه ذاتُ كثرة وبركة، وبفقدانها له ذاتُ قلّة وفشل، ولقد ضرب الله تعالى مثلين لمن ينفق رياء الناس ولمن ينفق ابتغاء مرضاة الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤، ٢٦٥].

والمعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ أي: لا تحبطوا أجرها بالمنّ والأذى.

﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي: كالمرائي الذي يبطل إنفاقه بالرياء.

﴿وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: لا يصدّق بلقاء الله ليرجو ثوابًا أو يخشى عقابًا.

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ أي: مثل ذلك المرائي بإنفاقه، كمثل الحجر الأملس الذي عليه شيء من التراب، يظنه الظانُّ أرضًا طيبةً منبتةً.

﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أي: فإذا أصابه مطر شديد أذهب عنه التراب فيبقى صلدًا أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلاً كذلك هذا المنافق يظنّ أنّ له أعمالاً صالحة فإذا كان يوم القيامة اضمحلت وذهبت، ولهذا قال تعالى: ﴿لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي: لا يجدون له ثوابًا في الآخرة فلا ينتفع بشيء منها أصلاً. وذم الله المرائين، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

وتوعد الله المرائين بالويل، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦)

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء». [صحيح الجامع: ١٥٥٥].

وعن جندب بن عبد الله بن سفيان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَن سَمَّعَ، سَمَّعَ الله به، ومن يرائي ؛ يرائي الله به». [متفق عليه].

ومعنى سَمَّعَ: أي: أشهر عملَهُ للناس رياءً.

سَمَّعَ الله به: أي: فَضَحَهُ يومَ القيامة.

ومعنى: «من رَاءَى» أي: مَنْ أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم، «راءى الله به» أي: أظهر سريرتهُ على رؤوس الخلائق.

فالإخلاص هو سرّ نجاح العبد وفلاحه في دنياه وآخرته، فالطاعات قد تكون في ظاهرها وهيئتها سواء، ولكنها في باطنها متفاوتة، فهي خير للمخلصين، وشرّ للمرائين، فالناس يقفون جميعًا للصلاة في مصلى واحد، وخلف إمام واحد، يركعون ويسجدون سواء، ومنهم المقبول لإخلاصه، ومنهم المردود لريائه، ويقفون في صف الجهاد تحت قيادة واحدة ويقتلون، ومنهم مَن تروح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يسحب على وجهه ويلقى في النَّار، فالأول: جاهد إخلاصًا لله وفي سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والثاني: جاهد مفاخرة ورياء ومباهاة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه: رجلٌ استشهد، فأُتي به، فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاهُ من أصناف المال فأُتي به فعرفه نعمته، فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار». [مسلم ١٩٠٥].

فقبل أن تخطو خطوة واحدة- أخي المسلم- عليك أن تعرف السبيل الذي فيها نجاتك، فلا تتعب نفسك بكثرة الأعمال، فرُبَّ مُكثر من الأعمال لا يفيد منها إلا التعب في الدنيا والعذاب في الآخرة، فلتعلم قبل كل شيء ماذا يشترط للأعمال حتى تقبل، لا بد من أمرين هامين عظيمين أن يتوفرا في كل عمل وإلا فلا يُقبل.

أولهما: أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله عز وجل.

ثانيًا: أن يكون موافقًا لما شرعه الله تعالى في كتابه، أو بيَّنه رسول الله ﷺ في سنته.

فإذا اختل واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحًا ولا مقبولاً ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، وصوابًا على شريعة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا: لم يُقبل، حتى يكون خالصًا وصوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ

أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله.

فيجبُ على الإنسان العاقل صادق الإيمان أن يعلم علمًا يقينًا لا يشُوبُهُ الظنُ أن الأمر كله دنيا وأخرى لله وحده لا شريك له، وأن العالم كله أعجز من أن يدفع أجلاً أو يكثر رزقًا أو يجير من نائبةٍ تنزلُ على الإنسان، قال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك». [صحيح الجامع: ٧٩٥٧].

فإذا كان الخلق بهذا الضعف فلا يلتفت لمراآتهم إلا ضعيف الدين، على أن رياء المُرائي لا يخفى حتى على الخلق غالبًا.

فازهد في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذم من لا يشينك ذمه، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: العمل من أجل الناس شركٌ، وتركُ العملُ من أجل الناسِ رياءٌ، والإخلاصُ أن يعافيكَ الله منهما.

وقال بعض السلف: من ترك العمل خوفًا من عدم الإخلاص فقد ترك الإخلاص والعمل جميعًا.

وثمَّتَ جانبٌ آخرُ: وهو أن المسلم يعملُ العملَ وقد أخلص لله فيه ثُمَّ ينشرُ الله له الثناء الحسنَ في قلوب المؤمنين وعلى ألسنتهم فليفرح بفضل الله، وليستبشر بذلك.

فقد سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يعملُ العملَ من الخير يحمدهُ الناسُ عليه، قال ﷺ: «ذلك عاجل بشرى المؤمن». [مسلم ٤/ ٢٠٣٤].

يقولُ الحافظُ ابنُ الجوزي- رحمه الله-: ولقد رأيتُ من يكثرُ الصومَ والصلاةَ والصدقة ويتخشعُ في نفسه ولباسه، والقلوبُ تنبُوا عنه، وقدره عند الناس ليس بذاك، ورأيت من هو دون ذلك بمراتب، والقلوبُ إليه تتهافت، وعلى محبته تَجْتَمِعُ.

فمن أصلح سريرته فاحَ عبيرُ فضلِه، وعبقتْ القلوبُ بنشرِ طيبه، فالله الله في السرائرِ فما ينفعُ في فسادها صلاح الظاهر.

فاعلم أيها العاقل: أن الخلق لا يكرمون أحدًا إلا بقدرِ ما جعل الله له في قلوبهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحدٍ، يُصرفهُ حيثُ شاء». [صحيح الجامع ٢١٤١].

وإن من خُذلان الله للعبد أن يعمي بصيرته فيتقربَ للمخلوقين بفعل ما يحبونه، وإن أغْضَبَ ربَّه واستحقَّ مقتهُ.

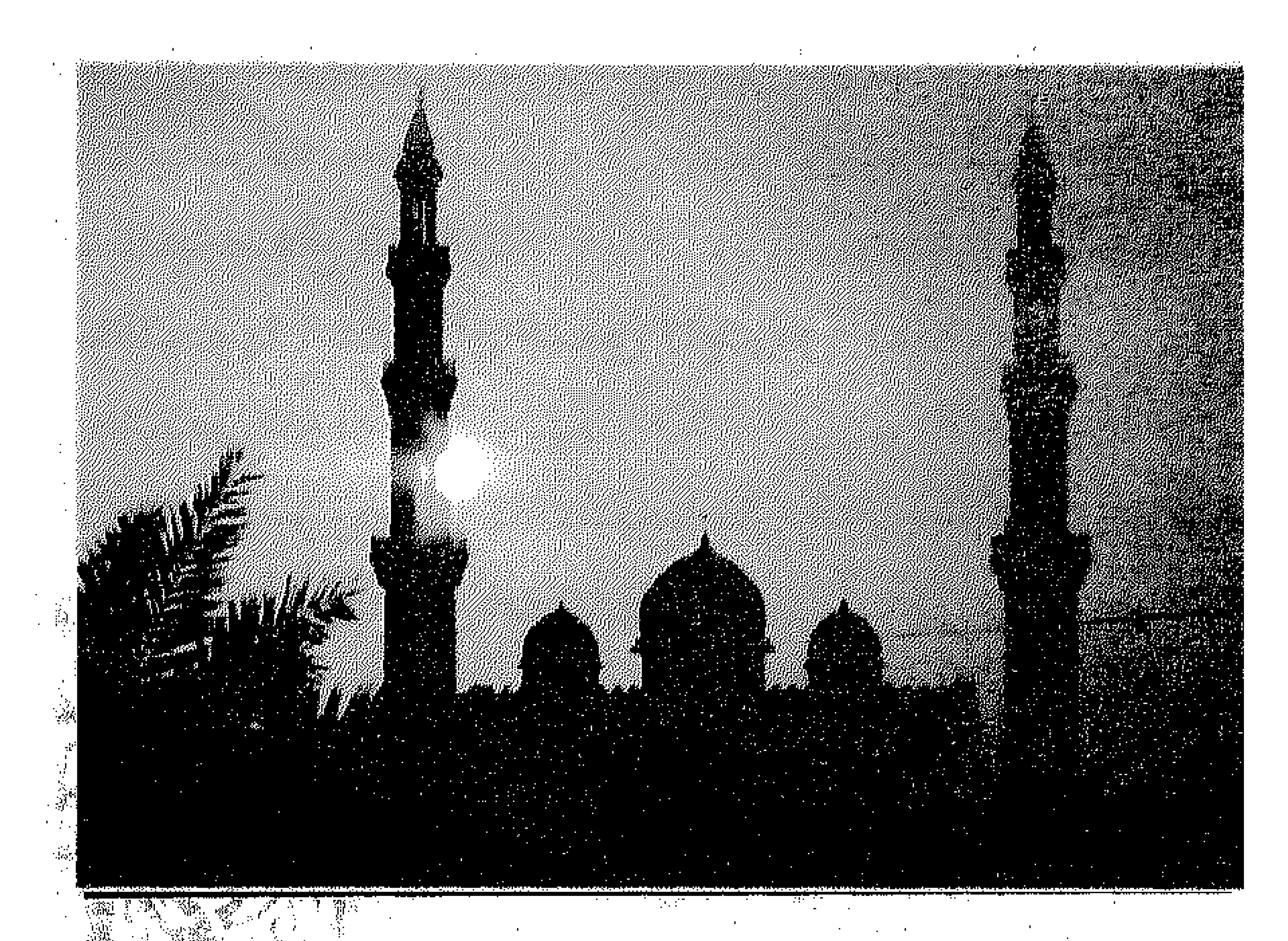
عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن أرضى الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس». [صحيح الجامع ٦٠١٠].

من قصد رضا المخلوق بإغضاب الخالق حجبَ الله عنه فضله ووكله إلى نفسه، ومن أصلح ما بينه وبين الخلق وأهمل ما بينه وبين ربه انتكس عليه مقصوده، وعاد حمدُه ذمًا، فلا دينًا أقام، ولا دنيا أصاب، نَصَبٌ بلا فائدة، وعمل من غير أجر، والله أغنى الشركاء عن الشرك.

فعلى الإنسان أن يعمل على إصلاح نيته، وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله، وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبة رياء، أو سمعة، أو قصد نفع، أو غرض شخصي، قال الله تعالى: ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فالأعمال مع الإخلاص تنمو وتزكو ويبارك فيها وتقبل، وبدونه تقل بركتها وتضمحل وتفشل وتُرد على صاحبها.

«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل، والهرم، والقسوة والغفلة، والعيلة والذلة، والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر، والفسوق والشقاق والنفاق، والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم، والبكم، والجنون، والجذام، والبرص، وسيء الأسقام».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



من الآداب الإسلامية

نعمة البيان وخطورة اللسان

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن نعمة اللسان والبيان من أجل نعم الله عز وجل على الإنسان؛ إذ بها يعبد الله ويوحده، ويتم التخاطب بين أفراد النوع الإنساني، ويعبر كل منهم عما بداخله، قال سبحانه مذكرًا لنا بتلك النعمة: ﴿الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١- ٤]، وقال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨- ٩].

لسانًا ينطق به فيعبر عما في ضميره، وشفتين يستعين بهما على الكلام.

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد- رحمه الله-: إن جارحة اللسان الناطق بالكلام المتواطئ عليه، أساس في الحياة والتعايش دينًا ودنيا، فبكلمة التوحيد يدخل المرء في ملة الإسلام، وبنقضها يخرج منها، وبين ذلك مراحل انتظمت أبواب الشريعة.

فلو نظرت إلى «الكلام» وما بني عليه من أحكام لوجدت من ذلك عجبًا في: الطهارة، والصلوات، وسائر أركان الإسلام، والجهاد، والبيوع، والنكاح، والطلاق، والجنايات، والحدود، والقضاء... إلخ.

بل أفردت أبواب في الفقهيات كلها لما تلفظ به هذه الأداة: «اللسان» في أبواب: القذف، والردة، والأيمان، والنذور، والشهادات، والإقرار، وفي أصل الأصول: «التوحيد» يدور على اللسان البحث والتأليف.

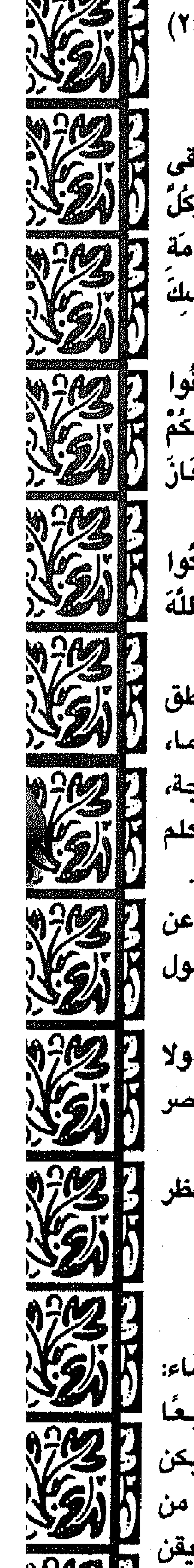
فكم من كلام أوجب ردة فقتلاً، أو أوجب قذفًا فجلدًا، أو أوجب كفارات، أو نزعت بسببه حقوق فَرُدَّتْ مظالم إلى أهلها، أو إقرار أوجب بمفرده حكمًا، ولذا قالوا: إقرار المرء على نفسه أقوى البينات.. ولهذا تكاثرت نصوص الوحيين الشريفين في تعظيم شأن اللسان ترغيبًا وترهيبًا، وأفرد العلماء في جمع غفير من مفرداته المؤلفات، ففي الترغيب: الدعوة إلى الله على بصيرة، ونشر العلم بالدرس، وفضل الصدق، وكلمة التوحيد...

وفي الترهيب: عن الغيبة، والنميمة، والكذب، وآفات اللسان الأخرى.

فاللسان صالح للخير، وصالح للشر، فمن أطلق للسانه العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، فيوقعه في الكذب والغيبة والبهتان... إلخ.. ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلْقِي لها بالاً يَرْفعهُ الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلْقي لها بالاً يهوى بها في جهنم».

ولقد أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ بكلمات الله التامة الصادقة ليبلغها للعالمين: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقد تغلغلت تلك الكلمات في أركان النبي صلى الله عليه وسلم، حتى كان ذلك من صفاته البارزة التي أمرنا أن نتأسى بها، قال سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

بالكلمة الطيبة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها عمل، وإليها دعا، حتى أينعت ثمارها في الدنيا، وامتدت جذورها في الآفاق، قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ



كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

وعليه فينبغي لكل إنسان أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام: إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، وقد توعد الله قالة السوء المحبين لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا بعذاب أليم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

وهناك حقائق يجب تدبرها، إليك بعضها:

١- الكلمة تدل دلالة واضحة على قائلها، الذي خرجت منه، وتكشف عن أصله من طيب أو خبث، وتبين عن معدنه، فالمؤمن إذا ظهرت المصلحة في الكلام تكلم ويريد بذلك وجه الله، وإذا استوى الكلام وتركُهُ في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد يجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، والسلامة لا يعدلها شيء.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». وفي رواية لمسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليسكت».

وروى الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلمتَ كُتب لك أو عليك». (فتح الباري ١١/٣٠٩).

وقال ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

فالعاقل يدرك أن الكلمة تدل عليه، قال الله عز وجل: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [النور: ٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال. يقول الحافظ ابن حجر: ووجهه أن الكلام القبيح أَوْلى بأهل القبح- ولا يخرج إلا من قبيح- والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس.

٢- الكلمة أرضها خصبة:

بمجرد أن تلقى فيها فإنها تزيد ولا تنقص وتنمو من غير توقف فيقوى أصلها ويشتد ساقها وتطول فروعها، وتمتد ويكثر ثمرها، ويعظم أثرها، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٧].

٣- الكلمة نبت وفيّ لغارسه:

أول من يجني ثمار الكلام هو المتكلم، وقد تبقى منه بقية لعقبه وذريته، قال الله عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وقال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

ووصف هندُ بنُ أبي هالة رضي الله عنه منطق رسول الله ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال: كان طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلام، كلامه فَصْلٌ، لا فضولَ ولا تقصير.

وسأل الحسين بن علي رضي الله عنهما أباه عن مخرجه ﷺ كيف كان يصنع فيه ؟ فقال: كان رسول الله ﷺ يَخْزِنُ- يحبس- لسانه إلا فيما يعنيه..».

وقال أيضًا: كان لا يذم أحدًا، ولا يَعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه. (مختصر الشمائل المحمدية للترمذي: للألباني ص٢٠-٢٥).

وعن يزيد بن أبي حبيب قال: إن المتكلم لينظر الفتنة، وإن المنصت لينظر الرحمة.

وعن سفيان: طول الصمت مفتاح السعادة.

وقال طاووس: لساني سَبُع، إن أرسلته أكلني.

وعن شيخ من قريش قال: قيل لبعض العلماء: إنك تطيل الصمت، فقال: إني رأيتُ لساني سبعًا عقورًا، أخاف أن أخَلِّيَ عنه فيَعْقِرني. ولذا ليكن الأصل هو الصمت، لأنه أقوى وسيلة وقائية من آفات اللسان، والسلامة لا يعدلها شيء إلا مَن تيقن من حصول الغنيمة بالكلام. وللحديث بقية إن شاء الله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أوجه الشبه بين اليهود والرافضة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن موقف الرافضة من مخالفيهم ما هو إلا صورة مطابقة لموقف اليهود من مخالفيهم، وهذا يؤكد الحقيقة التي أثبتتها هذه المقالات، وهي أن الرفض نسج بأيدٍ يهودية، فما سلك اليهود مسلكًا إلا تبعتهم الرافضة، وما ابتدعوا في دين الله بدعة إلا قلدهم الرافضة، وإليك أخي القارئ مقارنة بين الفريقين فيما يعتقدونه بالنسبة لغيرهم:

إعداد/ أسامة سليمان

١- اعتقاد كل من الفريقين بتميز مادة خلقهم عن غيره:

فعلى حين يزعم اليهود أن أرواحهم مصدرها روح الله ومصدر أرواح غيرهم روح الشيطان يدعي الرافضة أن أصل طينتهم من الجنة، وأصل طينة عدوهم من النار، وهذا ما يُعرف بعقيدة الطينة عند الرافضة، ولعل أسوتهم في ذلك إبليس اللعين الذي قال لربه عز وجل عندما أمره بالسجود لآدم: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦].

٢- اعتقاد كل من الفريقين نجاسة مخالفيهم:

وأن هذه النجاسة أصلٌ في خلقتهم لا يطهرون منها، ففي التلمود: «لا تزول النجاسة من النوخريم- الأجانب». وفي الكافي: «لا تغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمام، فإن فيها غسالة ولد الزنى، وهو لا يطهر إلى سبعة آباء، وفيها غسالة الناصب، وهو شرهما».

٣- اعتقاد اليهود أن نجاسة الأمميين تنتقل إلى أي شيء يلمسونه بأيديهم، ومن ثم يوجبون غسل الآنية التي يلمسونها، وعلى نفس الطريق يعتقد الرافضة أن نجاسة النواصب (أي: أهل السنة) تنتقل إلى أي شيء يلمسونه، ولذلك يوجبون غسل أيديهم بعد مصافحتهم، ففي التلمود: «إذا اشترى يهودي إناء من أجنبي فيجب على اليهودي غسله في حوض كبير». وفي الكافي: «أن رجلاً سأل أبا عبد الله، فقال: ألقى الذمي فيصافحني، قال: امسحها بالتراب والحائط، قال: قلت: فالناصب ؟ قال: اغسلها».

٤- يدعي الفريقان أنهم هم الناس فقط، وينفون عن غيرهم أصل الإنسانية، فعند اليهود: «أيها اليهود، إنكم بنو البشر، لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك».

وعند الرافضة: «الشيعة هم الناس وغيرهم الله أعلم بهم».

٥- يدعي الفريقان انتماء غيرهم إلى الكلاب والحمير والخنازير والقردة.

٦- يفضل اليهود الكلب على من عداهم، والناصب شرٌ من الكلب عند الرافضة، ففي التلمود: «أن الكلب أفضل من الأجانب». وعند الرافضة: «أن الناصب أهون على الله من الكلب».

هذه بعض أوجه الاتفاق بين الفريقين في احتقارهم لغيرهم، فهل الإسلام- دين رب العالمين- يحضهم على ذلك المعتقد أم أنه براء من ذلك الفساد وتلك الأباطيل.

إن نصوص الكتاب والسنة تحرم السخرية من الناس والاستهزاء بهم، قال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات:١١].

في احتكارهم لغيرهم والرد عليهم

وفي الحديث: «الكبر بطر الحق وغمط الناس». والغمط هو الاستهانة والاحتقار، فإن المُحْتَقَرَ قد يكون عند الله أعظم قدرًا أو أرفع شأنًا، فضلاً عن تحريم التنابز، واللمز هو العيب باليد والعين واللسان، فإن كان باللسان فقط فهو الهمز، يقول جل شأنه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

ثم من الذي يستحق أن يوصف بأنه كالأنعام، بل هو أضل منها سبيلاً، الموحد الذي أسلم وجهه لله ؟ أم المشرك الذي انسلخ من آيات الله وطعن في أنبيائه ورسله، وفضل أئمته على سائر الأنبياء والمرسلين، يقول عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وذلك الرجل الذي انسلخ من آيات الله هو بلعم بن عوراء، كان من علماء بني إسرائيل، وكان مُجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد، بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه فتبعه وترك دين موسى عليه السلام. [تفسير ابن كثير ٢/٢٦٤].

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى أن بعض الرافضة مسخ عند موته، يقول في «الرد على الرافضة»: «ومن أوجه الشبه بين الفريقين أن اليهود مسخوا قردة وخنازير، وقد حدث ذلك لبعض الرافضة في المدينة المنورة وغيرها، بل قد قيل: إنهم تمسخ صورهم ووجوههم عند الموت».

فهل يستوي أولئك مع الذين مَنَّ الله عليهم بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وقال فيهم أيضًا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، هل يستقيم ذلك مع تحذير النبي ﷺ، لكل مسلم أن يحقر أخاه المسلم ولا يظلمه ولا يسلمه، حيث قال ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

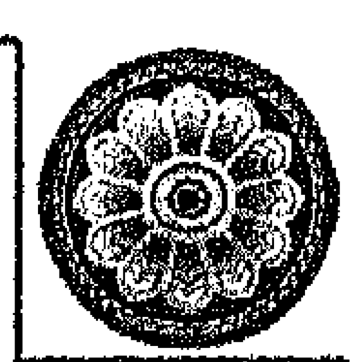
وبين ﷺ أن معيار التفضيل بين الناس إنما هو التقوى، التي مستقرها القلب، وما دامت القلوب لا يعلم ما بها إلا علام الغيوب، فليس لأحد أن يحقر أحدًا، فَرُبَ أشعث أغبر يطرد من على الأبواب لو أقسم على الله لأبره.

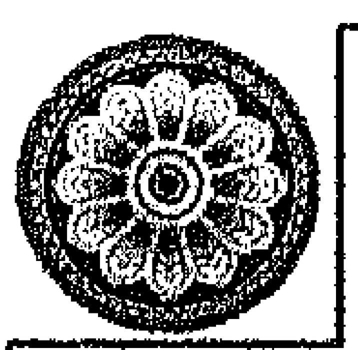
ومما يزيد العجب أن كتب القوم تنهى عن هذا المعتقد الفاسد، ففي سفر إرميا النهي عن الافتخار وذمه، فقد ورد فيه: «هكذا قال الرب: لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه، بل بهذا ليفتخرن المفتخر، بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب والصانع رحمةً وقضاء وعدلاً في الأرض».

هل هذا يستقيم مع تفضيل اليهود لأنفسهم بالعنصرية والنزعة العرقية، وكذا في بعض روايات الرافضة والنهي عن تحريم الافتخار على الناس وتحقيرهم، روى الحراني في تحف العقول عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى».

أليس في ذلك رد على الرافضة الذين يزعمون أن الله ميزهم عن غيرهم بأصل خلقهم- عقيدة الطينة- وفيه أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «أبعدكم مني شبهًا البخيل البذيء الفاحش». (تحف العقول ص٣٧)، هل هناك فحش وبذاءة أكبر من رمي الرافضة كل من خالفهم من المسلمين بأنهم أولاد بغايا ووصفهم بأنهم قردة وخنازير، أليستْ هذه النصوص حجة على القوم؟ أم هو التناقض والتخبط والضلال، ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

والله من وراء القصد.











أعراضنا كيف نصونها ونحفظها

الحلقة الثانية

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله جل في علاه، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تحدثنا في الحلقة الماضية عن صيانة الإسلام للأعراض والحفاظ عليها من التدنيس، وأن هذا من الضروريات في حق الآدميين عامة، وأهل الإسلام خاصة. وذكرنا من التدابير الواقية التي شرعها الإسلام وأمر بها لصيانة الأعراض خمسة؛ وهي أمره بالاستئذان عند الزيارة، وغض البصر وتحريم النظر إلى النساء والخلوة بهن، وثانيًا النهي عن الجلوس في الطرقات والوقوف عند نواصي الشوارع، وثالثًا أمر المرأة بالحجاب، ورابعًا تحديد العورات وتحريم النظر إليها، وخامسًا نهي المرأة عن ترقيق صوتها وعن الخضوع في القول.والآن نكمل بإذن الله تعالى:

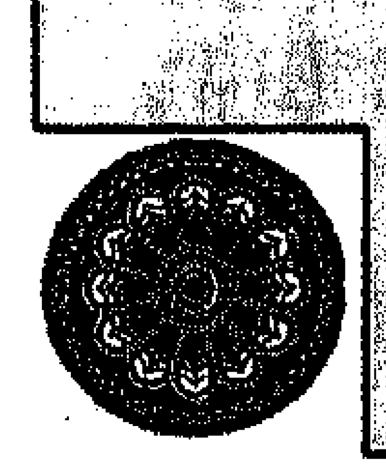
٦- الإسلام يحرم الاختلاط ويأمر المرأة أن تقر في بيتها:

إن من عواقب الاختلاط إمعان المرأة نظرها في الرجال، وهي لا شك تشتهي من الرجل ما يشتهيه الرجل منها، وكذلك إمعان الرجل نظره إلى المرأة وحجمها وصوتها وكل حركاتها، خاصة في العمل والمدارس والجامعات والمستشفيات والسفر وما يستتبع ذلك من أحاديث وحوارات ولقاءات ومشاورات لا تحمد عقباها بحال، وما وجد الاختلاط في بيئة إلا وكثرت فيها الفواحش.

أما عن بقاء المرأة في بيتها فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٧- الإسلام يمنع الدخول على الأجنبيات والخلوة بهن:

فالنبي ﷺ يسن قانون الحصانة بين الجنسين فيقول: «إياكم والدخول على النساء،



فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت﴾. متفق عليه من حديث عقبة بن عامر.

والحمو هو: أخو الزوج وقريبه كابن أخيه وابن عمه، وتعبير النبي ﷺ عنهم بلفظ «الموت» يعني أن الهلاك والمضرة كلها تأتي من هاهنا، حيث لا ريبة في دخول هؤلاء، وهم أعلم بسر الزوج وموعد دخوله وخروجه، فاحتمال وقوع الفتنة منهم أكبر. وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: ﴿لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم﴾. متفق عليه.

٨- الإسلام يمنع مصافحة النساء غير المحارم:

وفي الحديث: ﴿لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له﴾. صحيح الجامع برقم (٤٩٢١).

٩- الإسلام يمنع المرأة من الخروج متعطرة:

وهذا مما فشا في عصرنا مع التحذير الشديد من النبي ﷺ بقوله: «أيما امرأة استعطرت ثم مرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية». الترمذي، والنسائي، وأبو داود (صحيح).

وعند بعض النساء غفلة أو استهانة تجعلها تتساهل بهذا الأمر عند السائق والبائع وبواب المدرسة، بل إن الشريعة شددت على من وضعت طيبًا بأن تغتسل كغسل الجنابة إذا أرادت الخروج ولو إلى المسجد، قال رسول الله ﷺ ﴿أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد ليوجد ريحها لم يقبل منها صلاة حتى تغتسل اغتسالها من الجنابة﴾. أبو داود وأحمد (صحيح).

فإلى الله المشتكى من البخور والعود في الأعراس وحفلات النساء قبل خروجهن، واستعمال هذه العطورات ذات الروائح النفاذة في الأسواق ووسائل النقل ومجتمعات الاختلاط وحتى في المساجد في ليالي رمضان، وقد جاءت الشريعة بأن طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه. الترمذي عن عمران بن حصين (صحيح).

١٠- ويمنعها من السفر الطويل بدون محرم ومن الخروج بدون إذن زوجها:

وفي الصحيحين عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم». وهذا يعم جميع الأسفار حتى سفر الحج- وقد أقال النبي ﷺ رجلا من الغزو في سبيل الله آمرًا إياه أن يرجع ليصحب امرأته في الحج حتى لا تسافر وحدها- وسفر المرأة بغير محرم يغري الفساق بها فيتعرضون لها- كما يجعل المرأة ضعيفة أمام تزيين الشيطان فيكون في ذلك تسهيلاً للوقوع في الفاحشة- وأقل أحوالها أن تؤذى في عرضها وشرفها، وكذلك ركوبها بالطائرة ولو بمحرم يودع ومحرم يستقبل- بزعمهم- فمن الذي سيركب بجانبها في المقعد المجاور؟ ولو حصل خلل فهبطت الطائرة في مطار آخر، أو حدث تأخير واختلاف موعد فماذا يكون الحال؟ والقصص كثيرة.

وحتى مع زوال كل هذه العلل فنحن متعبدون بطاعة الله- جل وعلا- حيث أمر وحيث نهى، ويشترط أن يكون المحرم مسلمًا عاقلاً بالغًا ذكرًا، كما قال النبي ﷺ: «أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها». [صحيح مسلم].

١١- النهي عن وصف المرأة أمام الأجانب:

عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها». متفق عليه.

ويكون ذلك ذريعة لأن تتفتح عين الزوج على ما خفي عنه بالحجاب، ويجري الشيطان منه مجرى الدم، وربما أدى ذلك إلى احتقار زوجته والتطلع إلى غيرها.

١٢- الإسلام ينهى عن كشف العورة وعن الإفضاء في الثوب الواحد:

عن أبي سعيد- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد﴾. رواه مسلم.

١٣- الإسلام ينهى عن المسامرة بين الرجل والمرأة الأجنبية:

١٤- الإسلام يفرق بين الأولاد في المضجع:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ ﴿مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع﴾. رواه أبو داود بإسناد حسن.

وهذا توجيه نبوي عظيم، ذلك أن الأولاد في هذه السن- العاشرة- يبدأون في معرفة ما يعرفه الكبار، وفهم ما يفهمه الكبار، وربما سول الشيطان لهم حال اختلاطهم في المضجع.

١٥- نهى الإسلام عن الغناء المحرم والموسيقى ومشاهدة المسلسلات الهابطة:

قال الله- عز وجل- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا

هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)﴾ [لقمان: ٦- ٧].

ففي هاتين الآيتين الكريمتين، الدلالة على أن استماع آيات اللهو والغناء من أسباب الضلال والإضلال واتخاذ آيات الله هزوا والاستكبار عن سماع آيات الله.

وقد أخرج البخاري معلقًا- من حديث أبي مالك الأشعري أو أبي عامر الأشعري-حديث النبي ﷺ قال: ﴿ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف﴾ والحر: أي الفرج، والمعازف: آلات العزف والموسيقى.

١٦- المجلات والصحف النسائية الخليعة والصور الماجنة مما حرمه الإسلام:

ذلك أن تلك المجلات تحمل من الصور السافرة المتبرجة ما يذهب بلب الطائشين ومرضى القلوب وتنقل أخبار الفحش والقصص الجنسية في المجتمعات، والتي تحرك داعي الشهوة التي لا تجد مصرفا إلا بالوسائل المحرمة.

لا يجوز إصدار المجلات التي تشتمل على نشر الصور النسائية أو الدعاية إلى الزنا واللواط والفواحش أو شرب المسكرات أو نحو ذلك مما يدعو إلى الباطل ويعين عليه، ولا يجوز العمل في مثل هذه المجلات لا بالكتابة ولا بالترويج لما في ذلك من التعاون على الإثم والعدوان ونشر الفساد في الأرض والدعوة إلى إفساد المجتمع ونشر الرذائل. وقد قال الله تعالى في كتابه المبين ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ ﴿من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا﴾ (اخرجه مسلم في صحيحه).

ويحرم على كل مكلف ذكرًا كان أو أنثى أن يقرأ في كتب البدع والضلال والمجلات التي تنشر الخرافات، وتقوم بالدعاية الكاذبة، وتدعو إلى الانحراف عن الأخلاق الفاضلة، إلا إذا كان من يقرؤها يقوم بالرد على ما فيها من إلحاد وانحراف وينصح أهلها بالاستقامة، وينكر عليهم صنيعهم، ويحذر الناس من شرهم.

١٧- رغب الإسلام في الزواج:

حيث إن الزواج عفة ووقاية؛ قال ﷺ ﴿يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج..﴾. متفق عليه من حديث ابن مسعود.

١٨ - نصح الإسلام الأبوين بتزويج الابن والبنت متى بلغا:

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُم إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

١٩- وصف الدواء لمن لم يقدر على الزواج:

قال ﷺ:﴿فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء﴾ متفق عليه. أي: قاطع للشهوة.

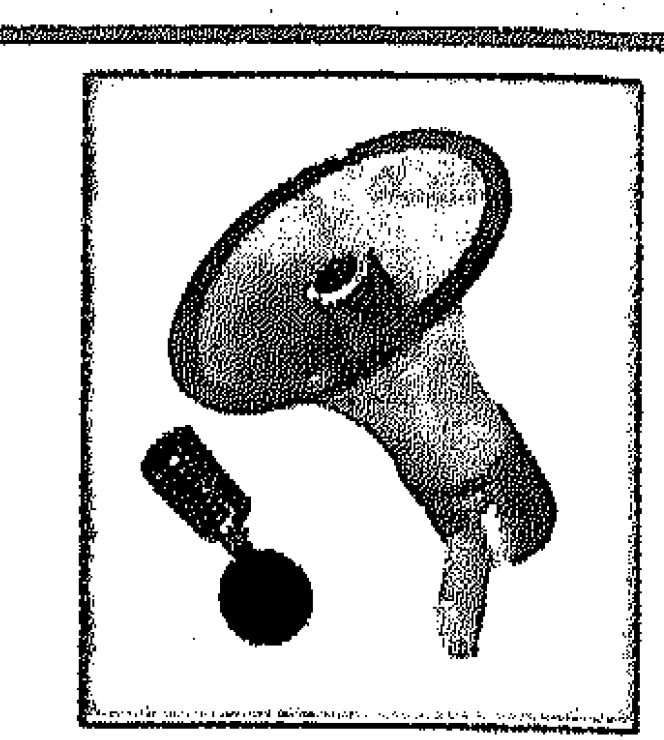
ومع الصوم أمر الإسلام بالتعفف والاستعفاف لمن حيل بينه وبين الزواج حتى ييسر الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

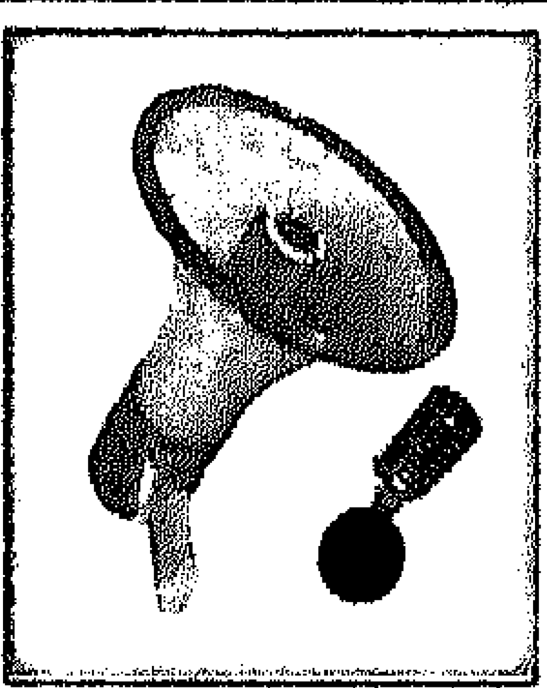
وإن الرجل وزوجته مسؤولان أمام الله تعالى، إذا حبسا ابنهما أو ابنتهما عن الزواج ابتغاء عرض الدنيا الزائل، فإن زنى الابن أو البنت فإن الأبوين يحملان من هذا الوزر والذنب العظيم إذا كان الحبس عن الزواج لغرض دنيوي أو سمعة أو شهرة، فليبحث الأبوان عن صاحب الدين وصاحبة الدين، وليخففا في المهور إذًا، حتى لا يأتي العنت لهم ولغيرهم ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [النور: ٣٢].

٢٠- الاهتمام بالأطفال في التربية:

وذلك عن طريق تدريب الأطفال من الصغر، وتعليمهم الاستئذان وغض البصر عن العورات، وتعويدهم على ألا يكشفوا عوراتهم، وهذا يوجب على الأب ألا يظهر بملابس قصيرة أمام الأبناء؛ كأن يجلس بينهم بسروال قصير مثلا، كذلك يعود الطفل على ألا يتداول الألفاظ القبيحة ولا يحكيها ولا يرددها، وخاصة ألفاظ العورات وأسماءها، ولا يحكي الرجل شيئا مما يدور بين الرجل والمرأة أمام الأطفال، وإذا تربى الأطفال على هذه الخصال فبالأولى ألا يروها عن طريق الإذاعات المرئية والفيديو والبث المباشر، الذي يبث سموم الغرب وفحشهم ورديء أخلاقهم في بيوت المسلمين، وهنيئا ثم هنيئا ثم هنيئا لمن لم تدخل هذه الأجهزة بيته.

وللحديث بقية.





تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة السابعة والتسعون

قصة أخرى مفتراه على أسماء بنت أبي بكر

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة أصحاب السفور ليتخذوها دليلاً على كشف وجوه نساء المؤمنين، وفي الحلقة السابقة خرجنا جميع طرق قصة كشف الوجه والكفين لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وحققناها وتبين من التحقيق أنها طرق واهية لا تصلح للمتابعات والشواهد، بل كلها يزيد بعضها بعضًا وهنًا على وهن، وتبين أن أسماء رضي الله عنها بريئة مما نُسب إليها من دخولها على رسول الله ﷺ بثياب رقاق حتى أعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا»، وأشار إلى وجهه وكفيه.

وإن تعجب فعجبٌ أن تدخل الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بيت أختها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعليها ثياب رقاق، هذه اللفظة المنكرة ؛ لأن أسماء رضي الله عنها كانت أكبر من عائشة رضي الله عنها، فقد نقل ابن الأثير في «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (٦٧٠٥/٧/٧) عن أبي نعيم قال: «ولدت- يعني أسماء- قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة، وكان عمر أبيها لما ولدت نيفًا وعشرين سنة، وأسلمت بعد سبعة عشر إنسانًا، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فوضعت بقباء».

ثم قال ابن الأثير: «عاشت أسماء رضي الله عنها وطال عمرها وعميت، وبقيت إلى أن قتل ابنها عبد الله سنة ثلاث وسبعين، وعاشت بعد قتله قيل: عشرة أيام، وقيل: عشرين يومًا، وقيل بضعًا وعشرين يومًا، حتى أتى جواب عبد الملك بن مروان بإنزال عبد الله ابنها من الخشبة، وماتت ولها مائة سنة، وخبرها مع ابنها لما استشارها في قبول الأمان لما حَصَرَه الحجاج، يدل على عقل كبير ودين متين، وقلب صبور قوي على احتمال الشدائد». اهـ.

ونقل الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤٨٨/٧) عن هشام بن عروة عن أبيه: «بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل». اهـ.

قلت: وفي هذا السن للصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وضعت في حقها قصة واهية اتخذها أصحاب السفور دليلاً على كشف وجوه نساء المؤمنين، حيث قال أحد دعاة السفور في كتابه «تحريم النقاب» (ص٢٠٩): «وأيضًا ما أورده ابن عساكر في تاريخه في قصة صلب ابن الزبير أن أمه أسماء بنت أبي بكر جاءت مسفرة الوجه مبتسمة».

قلت: انظر كيف سولت له نفسه أن يذكر قصة السفور في حق الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي

بكر من غير تحقيق ولا حتى ذكر سند لها، حتى نقول من أسند فقد أحال.

وإلى القارئ الكريم القصة، ثم التخريج والتحقيق.

أولاً: متن القصة

يُذْكَر عن شيخ يسمى عطية وكان قد بلغ مائة سنة قال: رأيت ابن الزبير على جذع مصلوبًا وامرأة تحمل في مِحَفَّة حتى صارت إليه.

فقال الناس: هذه أمه، فرأيتها مسفرة الوجه مبتسمة، فجاء الحجاج فأحضره لها وقال: «يا اسم إني وإياه استبقنا إلى هذا الجذع فسبقني هو إليه».

قلت: المِحَفَّة: «مركب من مراكب النساء». كذا في «لسان العرب» (٩/ ٤٩).

ثانيًا: التخريج

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٧/ ٧٩) ترجمة (٨٧٠٣) قال: أنبأنا أبو محمد الأكفاني، وابن السمرقندي قالا: أخبرنا علي بن الحسين بن أحمد بن صَصْري، حدثنا عبد الرحمن بن عمر بن نصر، حدثنا خالد بن محمد من ولد يحيى بن حمزة الحضرمي، حدثني جدي لأمي، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة، حدثنا أبو عثمان عن شيخ يسمى عطية، وكان قد بلغ مائة سنة، قال: رأيت ابن الزبير... القصة.

ثالثًا: التحقيق

هذه القصة واهية، والخبر الذي جاءت به منكر ومسلسل بالعلل:

العلة الأولى: أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي.

١- أورده الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/ ١٥١/ ٥٩٣) وقال: «له مناكير، وحدث ببواطيل»، وقال أبو أحمد الحاكم: «فيه نظر».

٢- وأورده الإمام الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/ ٣٢٢/ ٨٧٧)، وأقر ما أورده الإمام الذهبي في «الميزان»، ثم نقل عن الحاكم أبي أحمد أنه قال: «الغالب عليَّ أنني سمعت أبا الجهم، وسألته عن حال أحمد بن محمد فقال: قد كان كبر، فكان يلقن ما ليس من حديثه فيتلقن». اهـ.

٣- أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١/ ٣٤) في فصل «في سرد أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الحديث ويقلب الأخبار، ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار»، فذكر في هذا الفصل أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي برقم (٢٢٠).

العلة الثانية: السند مسلسل بالمجاهيل.

١- ابن بنته خالد بن محمد بن خالد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن حمزة مجهول.

٢- وأبو عثمان مجهول.

٣- وشيخ يسمى عطية مجهول.

العلة الثالثة: السقط والانقطاع.

ولبيان ذلك عن طريق علم «التواريخ والوفيات» وهو النوع الستون في «مقدمة ابن الصلاح»، قال الإمام النووي في اختصاره «التقريب» كما في «التدريب» (٢/ ٣٤٩): «التواريخ والوفيات: هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين».

١- فبالبحث عن تاريخ وفاة أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي، قال الحافظ ابن كثير في «اللسان» (١/ ٣٢٣): «مات أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي سنة تسع وثمانين ومائتين».

٢- ولقد بينا آنفًا أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قتل سنة ثلاث وسبعين، وفي هذا الحادث جاءت قصة السفور المفتراة على الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

٣- الذي يقارن بين تاريخ وفاة أحمد بن محمد بن حمزة، وبين حادث قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. يجد أن الفارق ستة عشر ومائتي سنة (٢١٦) سنة.

٤- ولقد بينا آنفًا أقوال أئمة الجرح والتعديل في أحمد بن محمد بن حمزة وأنه صاحب مناكير وأباطيل وكان يلقن ما ليس من حديثه فيتلقن».

ومن أباطيله محاولته تغطية هذه المسافة الزمنية (٢١٦) سنة بمجاهيل حيث قال: «حدثنا أبو عثمان عن شيخ يسمى عطية وكان قد بلغ مائة سنة، قال: رأيت ابن الزبير...».

قلت: انظر إلى قوله حدثنا أبو عثمان تجدها كنيه لمجهول، وانظر إلى قوله: «عن شيخ يسمى عطية»، بصيغة المجهول أيضًا، وانظر إلى قوله: «يسمى عطية وكان قد بلغ مائة سنة». تجد أنه وضع بجوار هذا الراوي المجهول أنه قد بلغ مائة سنة». حتى يغطي بهذه الأباطيل المجاهيل المسافة الزمنية (٢١٦) سنة.

٥- وبالطعن في الرواة والسقط في الإسناد والمجاهيل تصبح القصة واهية والخبر الذي جاءت به منكرًا باطلاً.

٦- من التخريج والتحقيق يتبين أن القصة واهية مفتراة على الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

ومن قبل أدحضنا القصة الباطلة المفتراة على أسماء رضي الله عنها عندما دخلت بيت أختها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي سافرة عن وجهها وعن شعرها وعليها ثياب رقاق تصف ما سوى الوجه والكفين تلك القصة المنكرة، فأسماء رضي الله عنها، كانت كبيرة بل أكبر من عائشة وعلم التواريخ يبين ذلك أيضًا.

رابعًا: علم «التواريخ والوفيات» يظهر هذه المنكرات

أولاً: النبي ﷺ:

أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٩٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين». اهـ.

ثانيًا: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

١- أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٨٩٦) من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريبًا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين». اهـ.

٢- وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب «النكاح» (ح٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست، وبنى بها وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة».

ثالثًا: بالمقارنة بين رواية مسلم والتي فيها أن النبي ﷺ مات وعائشة رضي الله عنها بنت ثمان عشرة، ورواية البخاري أن النبي ﷺ هاجر عشر سنين، يتبين أن عائشة يوم هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، كان عمرها ثماني سنوات.

رابعًا: ولقد بينا آنفًا أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وأسلمت بعد سبعة عشر إنسانًا، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فوضعته بقباء.

فبالمقارنة نجد أن أسماء رضي الله عنها تكبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأكثر من تسع عشرة سنة.

انظر كيف جعلت هذه القصص الواهية من الصحابية الجليلة ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر فتاة سافرة عليها ثياب رقاق تدخل بها بيت أختها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الرواية الأخرى المفتراة أنه ﷺ قام فخرج من البيت، مع أنها أسن من عائشة رضي الله عنها.

خامسًا: لقد بيَّنا من «التواريخ والوفيات» أن الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل. وأن ابنها عبد الله قتل سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكانت يوم الهجرة عندها سبع وعشرون سنة.

١- فإن تعجب فعجب كيف يحتج بهذه القصة دعاة السفور وقد بينا أنها واهية منكرة من الأباطيل.

٢- ولا حجة لهم إن فرضنا جدلاً قبول هذا الخبر المنكر، حيث إن أسماء رضي الله عنها عندها في هذا الوقت من العمر مائة عام، فهي حينئذ من القواعد.

٣- ألم يأن لدعاة السفور أن يتقوا الله في الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ويعرضوا عن هذه القصة الواهية التي لا حجة لهم فيها سندًا ولا متنًا، فهي امرأة من القواعد قد بلغت من الكبر عتيًا، عجوز كبيرة في المائة من عمرها، مكفوفة البصر يتحقق لها قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠].

خامسًا: الأدلة الصحيحة على حجاب أسماء رضي الله عنها

١- الأدلة قاطعة الدلالة على أن الصحابية الجليلة أسماء رضي الله عنها كانت تغطي وجهها من الرجال حتى في أشد مواقف الخشية التي تغض فيها الأبصار وتسكب فيها العبرات، وتهتز بالتلبية والاستغفار، حيث تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «كنا نغطي وجوهنا من الرجال - وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام». اهـ.

الحديث صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٤٥٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ومن أراد المزيد حول تحقيق هذا الحديث

فليراجع رسالتنا الأولى «تحذير الأصحاب من جهالات من يزعم تحريم النقاب» (ص١٠، ١١، ١٢، ١٣).

٢- دليل آخر: فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ (١/٢٤٠- تنوير) كتاب الحج، باب تخمير المحرم وجهه، عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر أنها قالت: «كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر».

وإلى القارئ الكريم رجال هذا الخبر الصحيح الذي جمع شروط الصحة عند الشيخين:

أ- مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله: أجمع فيه القول ابن حجر في التقريب (٢/ ٢٢٣) أنه: إمام دار الهجرة، رأس المتقين وكبير المثبتين، أخرج له الستة، سمع نافعًا والزهري، وهشام بن عروة وغير واحد من التابعين عند البخاري ومسلم.

ب- هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، أخرج له الستة كما في «تهذيب التهذيب» (١١/ ٤٥) قال أبو حاتم: ثقة إمام في الحديث، وقال ابن سعد والعجلي: كان ثقة، زاد ابن سعد: ثبتًا كثير الحديث حجة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان متقنًا ورعًا فاضلاً حافظًا سمع أباه وأخاه وفاطمة بنت المنذر وغير واحد عند الشيخين البخاري ومسلم.

جـ- فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام، وهي زوج هشام بن عروة أخرج لها الستة كما في التهذيب (١٢/ ٤٧١) روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر، وروى عنها زوجها هشام، وكانت أكبر منه بثلاث عشرة سنة، قال ابن حجر في «التقريب»: ثقة، سمعت أسماء عند الشيخين.

قلت: بهذا يكون السند قد جمع شروط الصحة عند الشيخين.

ولينظر دعاة السفور إلى قول التابعية فاطمة بنت المنذر: «كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر». بصيغة الجمع، فإنه قاطع على أن عمل الصحابيات والتابعيات كان على تغطية وجوههن من الرجال حتى في الإحرام.

سادساً: دفع شبهات التعارض

وإتمامًا لهذا البحث ودفعًا لإيهام التعارض بين هذه الأخبار الصحيحة، فبعض من لا دراية له يكشف وجه أهله في الإحرام لعدم درايته بفقه حديث: «لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين».

هذا الحديث الذي أخرجه البخاري (١٨٢٨)، وأبو داود (١٨٢٢)، والترمذي (٨٣٣)، والنسائي (٥/ ١٣٣)، (ح٢٦٧٢) من حديث ابن عمر.

وإلى القارئ الكريم فقه هذا الحديث، والذي فرق به الإمام ابن القيم رحمه الله بين النهي عن الانتقاب للمحرمة وبين التغطية والإسدال لوجه المحرمة في «شرح سنن أبي داود» (٣/ ٤٠٥- عون)، قال: «وأما نهيه في حديث ابن عمر المرأة أن تنتقب، وأن تلبس القفازين، فهو دليل على أن وجه المرأة كبدن الرجل، لا كرأسه فيحرم عليها فيه ما وضع، وفصل على قدر الوجه كالنقاب والبرقع.

ولا يحرم عليها ستره بالمقنعة والجلباب ونحوها، فإن النبي ﷺ سوى بين وجهها ويديها ومنعها من القفازين والنقاب.

ومعلوم أنه لا يحرم عليها ستر يديها.

وأنهما كبدن المحرم يحرم سترهما بالمفصل على قدرهما وهما القفازان، فهكذا الوجه، إنما يحرم ستره بالنقاب وليس عن النبي ﷺ حرف واحد في وجوب كشف المرأة وجهها عند الإحرام إلا النهي عن النقاب، وهو كالنهي عن القفازين فنسبة النقاب إلى الوجه، كنسبة القفازين إلى اليد سواء، وهذا واضح بحمد الله، وقد ثبت عن أسماء أنها كانت تغطي وجهها وهي محرمة. اهـ.

قلت: وكذلك ثبت عن فاطمة بنت المنذر بصيغة الجمع مع جدتها أسماء بنت أبي بكر كما بينا آنفًا.

سابعاً: المذاهب الأربعة على مشروعية التغطية والإسدال في الإحرام

في «الفقه على المذاهب الأربعة» طبعة وزارة الأوقاف - الإدارة العامة للدعوة - الطبعة السادسة ١٣٨٧هـ (١/٦٢٦-عبادات) كتاب الحج- باب: ما ينهى عنه المحرم بعد الدخول في الإحرام:

١- الحنفية والشافعية: قالوا: «تستر المرأة وجهها عن الأجانب بإسدال شيء عليه بحيث لا يمسه».

٢- الحنابلة: قالوا: «للمرأة أن تستر وجهها لحاجة كمرور الأجانب بقربها ولا يضر التصاق الساتر بوجهها».

٣- المالكية: قالوا: «إذا قصدت المرأة بستر يديها أو وجهها التستر عن أعين الناس فلها ذلك وهي محرمة بشرط أن يكون الساتر لا غرز فيه ولا ربط، وإلا كان محرمًا وعليها الفدية في ستر وجهها».

قلت: بهذا يتبين مشروعية ستر الوجه حتى في الإحرام، قال تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

والله من وراء القصد.

الفـــرقـــة النـــاجيـــة

يسأل سائل: هناك فرقٌ كثيرة تدعي أنها من أهل السنة والجماعة، ويقولون أقوالاً ومصطلحات محدثة لم توجد في كلام السلف، بل ويقولون: إن كل أقوال السلف يؤخذ منها ويُرد، ويأخذون ما يوافق هواهم ويتركون ما عداه، نرجو النصح للأمة ؟

الجواب: هذا السؤال مهم لأنه له أثر في الواقع حقيقة، ولأهميته لا بد أن يكون في الشرع جواب عليه، وتفصيل هذا الجواب كما ذكر الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل»، قال: أخبر النبي ﷺ أنه «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منهم واحدة والباقون هلكى». قيل: وما الناجية؟ قال: «أهل السنة والجماعة». قيل: وما السنة والجماعة ؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». اهـ.

ومن هذا يتبين أن ادعاء كل فرقة أنها من أهل السنة والجماعة ادعاء مشترك لكل واحدة من هذه الفرق، لكن الأمر الذي يتبين به صحة ادعائها أن يكون عملهم وقولهم موافقًا لعمل النبي ﷺ وقوله وتقريره، وكذلك عمل أصحابه من بعده رضوان الله عليهم، لأن النبي ﷺ ومعه أصحابه خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وكلمة: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ في الآية تساوي كلمة «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» في الحديث، وعليه فمقياس صحة ادعاء من ادعى أنه على منهج أهل السنة والجماعة أن يكون كلامه وحجته: قال رسول الله ﷺ كذا وفعل كذا، وفعل أصحابه كذا وقالوا كذا. وهذا فعل الصحابة وفعل التابعين من بعدهم، ويكون عمله مطابقًا لقوله، وهو بهذا الحال متبع للنبي ﷺ وأصحابه، مستحق أن يطلق عليه الفرقة الناجية إن شاء الله.

وقال صديق حسن خان القنوجي عن هذه الطائفة: هم كل من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، وبذلك صار المتمسكون بالإسلام المحض، الخالص من الشوائب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة». انتهى. (قطف الثمر في معرفة عقيدة أهل الأثر ١ / ١٦٤).

الأئمــة المجـددون

يسأل سائل: من هم الأئمة المجددون لهذه الأمة دينها على رأس كل مائة سنة كما بالحديث وما هي أسماؤهم؟

الجواب: قال ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٢٩٥): حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يُدَّعى ذلك في عمر ابن عبد العزيز رحمه الله فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثَمَّ أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفًا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفًا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا.

وقال المناوي في «فيض القدير» (١ / ٩): قال الحراني: مَن: اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحادًا وجموعًا واستغراقًا (يجدد لهذه الأمة) أي الجماعة المحمدية، وأصل الأمة الجماعة مفرد لفظًا جمعٌ معنى، وقد يختص بالجماعة الذين بعث فيهم نبي وهم باعتبار البعثة فيهم ودعائهم إلى الله يسمون أمة الدعوة، فإن آمنوا كلاً أو بعضًا سُمِّيَ المؤمنون أمة إجابة وهم المراد هنا، بدليل إضافة الدين إليهم في قوله (أمر دينها) أي ما اندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة حسبما نطق به الخبر الآتي، وهو: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتم الأنبياء والرسل وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها بل لا بد من طريق وافٍ بشأنها اقتضت حكمة الملك العلام ظهور علم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث إجراءً لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم.

وقال في جامع الأصول: قد تكلموا في تأويل هذا الحديث وكل أشار إلى القائم الذي هو من علماء مذهبه وحملوا الحديث عليه، والأولى العموم، فإن «مَن» تقع على الواحد والجمع ولا يختص أيضًا بالفقهاء فإن انتفاع الأمة يكون أيضًا بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ، لكن المبعوث ينبغي كونه مشارًا إليه في كل هذه الفنون، وقال في الفتح: نبه بعض الأئمة على أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل قرن واحد فقط بل الأمر فيه كما ذكره النووي في حديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق». من أنه يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وتفرقهم في الأقطار، ويجوز تفرقهم في بلد وأن يكونوا في بعض دون بعض، ويجوز إخلاص الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولا، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا أتى أمر الله.



القرآن رحمة

الحلقة الأولى

إعداد/ شوقي عبدالصادق

الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، أرسل رسوله بالهدى والحكمة والكتاب، وأكرمه بالآيات والمعجزات الباهرات، وكان الكتاب المبارك أعظمها قدرًا وأعلاها مكانة وفضلاً، فقال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثلُهُ آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهُم تابعًا يوم القيامة». [اللؤلؤ والمرجان ٩٣].

إنه القرآن كتاب الله ووحيه المبارك، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، أحسن الكتب نظامًا وأبلغها بيانًا، وأفصحها كلامًا، وأبينها حلالاً وحرامًا: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

القرآن رحمةُ

أختص بها الله عز وجل نبي الرحمة بقوله عن النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وبقوله عن القرآن: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]،.

وبقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي إن في هذا القرآن (لرحمة) أي: بيانًا للحق وإزاحة للباطل.

وبقوله تعالى: ﴿الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ١-٣]،.

بقوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الدخان: ٥، ٦].

وبقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وبقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

[الإسراء: ٨٢].

وبقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[النمل: ٧٧].

القرآن رحمة وتبيان لكل شيء

ثم تفصيله وتبيينه بقول الرسول ﷺ وفعله وبشهادة القرآن له، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وبقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وعن سعيد بن هشام قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم. فقالت: كان خُلقه القرآن. [مسلم ٧٤٦].

والقرآن رحمة وبصائر

القرآن رحمة وبصائر للناس يتبصرون به في الأحكام والحدود؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وفي تفسير الجلالين هذا القرآن بصائر للناس يتبصرون به في الأحكام والحدود وهدًى ورحمة لقوم يوقنون بالبعث، فهو رحمة بكل ما فيه من وعد ووعيد، وزجر وتهديد، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: القرآن رحمة بما فيه من قصاص وقتل للقاتل

فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[البقرة: ١٧٨].

وفي «تفسير الجلالين»: فرض عليكم القصاص وهو المماثلة (في القتلى) وصفًا وفعلاً، (الحر) يقتل (بالحر)، ولا يقتل بالعبد (والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)، وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة في الدين، فلا يقتل مسلم ولو عبدًا بكافر ولو حرًا، (فمن عفي له) من القاتلين (من) دم (أخيه) المقتول (شيء) بأن ترك القصاص منه وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذكر أخيه تعطف داعٍ إلى العفو، وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان.

ثم قال: (ذلك) أي: الحكم المذكور من جواز القتل والقصاص والعفو عنه على الدية، (تخفيف) تسهيل (من ربكم) عليكم، (ورحمة) لكم حيث وسع في ذلك ولم يحتم واحدًا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية، (فمن اعتدى) ظلم القاتل بأن قتله (بعد ذلك) أي العفو (فله عذاب أليم) مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل. (تفسير الجلالين ص٣٣، ٣٤).

وذكر ابن كثير في تفسيرها مسألة قال: ومذهب الأئمة الأربعة والجمهور أن الجماعة يقتلون بالواحد، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غلام قتله سبعة فقتلهم وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم، ولا يعرف في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالإجماع. [ابن كثير ١/ ٢٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقال ابن كثير في تفسيرها: وفي شرع القصاص لكم، وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المُهج وصونها، لأنه إذا علم القاتل أنه يُقتل انكف عن صنيعه فكان ذلك حياة للنفوس، وقد كان يقال قبل نزول القرآن القتل أنفى للقتل، فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح

وأبلغ وأوجز: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، قال أبو العالية جعل الله القصاص حياة، فكم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يقتل. [ابن كثير ١/ ٢٩٨].

فهذا الحد من حدود الله كله رحمة، وفيه حياة لكل الأنفس وصيانة للدماء، وإذا طبق هذا الحد فسيقل عدد الذين يُقتص منهم سواء في الأنفس أو الجروح وتستقيم الأمور ويختفي الإسراف في القتل والجراح والتمثيل وتصان الأنفس، ولن يصل عددهم أبدًا إلى مثل عدد القتلى في حادث سيارة واحدة أو قطار فضلاً عن القطارات والسفن والعبارات، إنها بركة تطبيق حدود الله عز وجل، وفيها الرحمة والحياة ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ثانيًا : القرآن رحمة بما فيه من قتل وتصليب أو تقطيع لمحاربي الله ورسوله والمفسدين في الأرض

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]. يقول ابن كثير: هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة عن أنس بن مالك: أن نفرًا من عُكْل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا المدينة وسقمت أجسامهم، فشكوا إلى رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبوا من أبوالها وألبانها، فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحُّوا فقتلوا الراعي وطردوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث في آثارهم، فأدركوا، فجيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسُمرت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا».

وقال ابن عباس عمن شهر السلاح في فئة الإسلام وأخاف السبيل ثم ظفر به وقدر عليه فإمام المسلمين فيه بالخيار، إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله، وكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وغيرهم. (ابن كثير ٢/٧٣).

وهذا هو عدل الإسلام ورحمة القرآن، لأن تبطيق حد الحرابة يحفظ سلامة المجتمع وتنتظم مصالحه، ويأمن العباد في بيوتهم وطرقاتهم وتنتظم المواصلات من الأقطار، فيسير الناس فيها ليالي وأيامًا آمنين، فلقد عجزت جميع أنظمة الأرض الأمنية بكل ما لديها من علم وفكر أن توفر للناس شيئًا من الأمن المنشود بدون تطبيق تلك الحدود لأنها والله فيها الرحمة: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ثالثًا : القرآن رحمة بما فيه من قطع يد السارق والسارقة

لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية فقُرر في الإسلام وزيدت شروط أخر، ويقال: إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش قطعوا رجلاً يقال له: «دويك»، كان قد سرق كنز الكعبة. (ابن كثير ٢/٨١).

وعند الجمهور أن النصاب في السرقة معتبر وإن كان وقع بينهم خلاف في قَدْره لما رواه مسلم وغيره قال رسول الله ﷺ: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدًا». [مسلم ١٦٨٤].

ومن أسرار الشريعة العظيمة أن اليد إذا اعتدى عليها أحد فأتلفها فإن ديتها خمسمائة دينار وذلك إذا كانت أمينة، ولكنها إذا خانت وسرقته هانت وقطعت إن كان المسروق ربع دينار فصاعدًا، إنها رحمه الله بالإنسان لكي لا يعتدي عليه ولا على أعضائه أحد، ورحمة الله بالناس لكي لا يعتدي على أموالهم أحد وعجزت قوانين البشر أن تأتي بمثل هذه الرحمة ولكن القرآن قررها منذ أربعة قرنًا.

رابعًا : القرآن رحمة بما فيه من جلد أو رجم للزاني والزانية

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا

طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وورد في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أنشدك الله إلا قضيت بيننا بكتاب الله فقام خصمه وكان أفقه منه، فقال: صدق اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي يا رسول الله فقال النبي ﷺ: «قل». فقال: إن ابني كان عسيفًا في أهل هذا فزنى بامرأته فافتديتُ منه بمائة شاة وخادم وإني سألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أن علي ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم، فقال: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: المائة والخادم ردٌّ عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، ويا أُنيس اغد على امرأة هذا فسلها فإن اعترفت فارجمها». فاعترفت فرجمها. [اللؤلؤ والمرجان ١١٠٣].

فقد ورد في الحديث الجلد والرجم للولد البكر والرجم للمرأة المتزوجة، وكلاهما في كتاب الله لقَسَم النبي ﷺ في الحديث: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله». ولظهور الجلد في الآية المتقدمة ولوجود الرجم أيضًا في آية منسوخة نصًا باقية حكمًا في سورة النور وكانت: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة». وأكد هذا أيضًا حديث عمر رضي الله عنه قال: إن الله بعث محمدًا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها: رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحَبَلُ أو الاعتراف.

[اللؤلؤ والمرجان ١١٠١].

فنجد من الآية الثانية من سورة النور والأحاديث المتقدمة الجلد والرجم وعدم الرأفة، والعلانية في إقامة الحد وعدم الكتمان وأن يشهد هذا الحد طائفة من المؤمنين، هذا كله من الرحمة حتى يرتدع أصحاب الشهوات، وحتى لا تختلط الأنساب، وحتى تشيع العفة بين الناس، وتصان الأعراض، ولا يكثر القتل ثأرًا للعرض، ولكن هذه الرحمة بسبب إقامة حد الزنى اختفت بسبب تعطيله وسيادة قوانين البشر التي تبارك العمل ولا تُجرِّمه إذا كان برضا الطرفين ، ولا ترى في ذلك عيبًا ولا شيئًا، ويسعى مردةُ شياطين الإنس، ولو حصرنا عدد الذين قُتلوا ثأرًا للعرض، وعدد الأجنة التي أجهضت سترًا للعار لبلغوا ألوفًا، وفضلاً عن ذلك اتساع دائرة الفاحشة واختلاط الأنساب، فهل في هذا رحمة؟ الحق أن الرحمة في تطبيق حدود الله، فإن عدد الذين جُلدوا ورجموا بأمر النبي ﷺ في زمانه عدد قليل.

وبالجملة فإن الحدود إذا أقيمت كانت للعباد رحمة، سواء المحدودين أو عامة الناس؛ لما رواه الشيخان من حديث عبادة بن الصمات أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك. والشاهد من الحديث أن الحدود كفارة للمحدودين ولا يعذب المحدود عن جريمته التي حُدَّ فيها على رأي أكثر العلماء، أما السجن والعقوبات الأخرى مع أن فيها عذابًا لمرتكب الجريمة، لكن يبقى عليه حساب الآخرة قائم، فالحدود جوابر وزواجر، وهي خير لأهل الأرض إذا أقاموها ؛ لقوله ﷺ «حدٌّ يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين يومًا».

[الصحيحة: ٢٣١].

اللهم اجعلنا ممن يقيم حدود الله، ولا تجعلنا ممن يضيع حدوده، واجعلنا من أهل القرآن وخاصته، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد.

الحلقة الثانية

هؤلاء يحبهم الله عز وجل



إعداد/ أيمن دياب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد ..؛

فما يزال حديثنا موصولاً عن محبة الله تعالى ..

ويدخل في ذلك العدل في معاملات الخلق: أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، ولهذا قال ﷺ: «فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»(١).

ويدخل في ذلك العدل بين الأولاد في العطية، قال النبي ﷺ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ»(٢).

ويدخل في ذلك العدل بين الورثة في الميراث، فيعطي كل واحد نصيبه، ولا يوصي لأحد منهم بشيء لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»(٣).

ويدخل في ذلك العدل بين الزوجات، بأن تقسم لكل واحدة مثل ما تقسم للأخرى لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»(٤).

ويدخل في ذلك العدل في نفسك، فلا تكلفها ما لا تطيق من الأعمال، لقوله ﷺ: «وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ»(٥).

٩- الصافون في القتال كالبنيان المرصوص:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

هؤلاء الذين علق الله المحبة لهم بأعمالهم لهم عدة صفات:

أولاً: يقاتلون، فلا يركنون إلى الخلود والخمول والكسل والجمود الذي يضعف الدين والدنيا.

ثانياً: الإخلاص، لقوله: ﴿فِي سَبِيلِهِ﴾.

ثالثاً: يشد بعضهم بعضاً، لقوله: ﴿صَفاً﴾.

رابعاً: أنهم كالبنيان، والبنيان حصن منيع.

خامساً: لا يتخللهم ما يمزقهم، لقوله: ﴿مَّرْصُوصٌ﴾.

هذه خمس صفات علق الله محبته لهؤلاء عليها.

ثانياً: من السنة:

١- إحسان العمل وإتقانه:

لقوله ﷺ: «يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن»(٦).

ولقوله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(٧).

٢- صدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار:

لقوله ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث وليؤد أمانته إذا أؤتمن وليحسن جوار من جاوره»(٨).

٣- التعبد لله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا:

عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها -(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ» فَسَأَلُوهُ ؟ فَقَالَ: «لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا» فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ».)(٩).

٤- حب الأنصار رضي الله عنهم :

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ زِيَادٍ السَّاعِدِيِّ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ «لا يُحِبُّ رَجُلٌ الأَنْصَارَ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ إلا لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ يُحِبُّهُ».)(١٠).

٥- من يعملون برخص الله التي رخصها :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)(١١).

ولقوله ﷺ: (إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)(١٢).

٦- الذين تظهر عليهم آثار نعم الله تعالى :

لقوله ﷺ: (إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالا فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ)(١٣).

٧- من يحلفون بالله ولا يحلفون بغيره، ولا يحلفون به إلا صادقين :

لقوله ﷺ: (احلفوا بالله وبروا واصدقوا فإن الله يُحب أن يُحلف به)(١٤).

٨- العبد المؤمن :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ)(١٥).

٩- يُحبُّ معالي الأخلاق :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)(١٦).

١٠- الذين يوترون صلاتهم :

لقوله ﷺ: (يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ)(١٧).

١١- من يستحيون ويستترون :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ)(١٨).

ولقوله ﷺ: (إن الله ستير يحب الستر)(١٩).

١٢- مَن يرفقون في تعاملهم مع الخلق :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ)(٢٠).

ولقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ)(٢١).

١٣- يُحبُّ الجمال :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)(٢٢).

١٤- يُحبُّ الكرماء :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عز وجل كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ)(٢٣).

١٥- يُحبُّ الأجواد :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ- تعالى- جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ)(٢٤).

١٦- الطَّيِّب :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ)(٢٥).

١٧- مَن يتنظفون :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، فَنَظِّفُوا أُرَاهُ قَالَ أَفْنِيَتَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ)(٢٦).

١٨- الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ)(٢٧).

١٩- السماحة في البيع والشراء والقضاء :

لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ سَمْحَ الشِّرَاءِ

سَمْحَ الْقَضَاء)(٢٨).

٢٠ – من يصلحون بين الناس:

لقوله ﷺ:(ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها؟ تصلح بين الناس فإنها صدقة يحب الله موضعها)(٢٩).

٢١ – المحامد:

عَنِ الأَسْوَدِ بن سَرِيعٍ رضي الله عنه، قَالَ:كُنْتُ رَجُلا شَاعِرًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا أُنْشِدُكَ مَحَامِدَ حَمِدْتُ بِهَا رَبِّي عز وجل ؟، قَالَ ﷺ: «أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْمَحَامِدَ فَمَا اسْتَزَادَنِي».)(٣٠).

٢٢ – العَفْو:

لقوله ﷺ:(إنَّ اللَّهَ عز وجل عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ)(٣١).

٢٣ – ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم:

الأول: قوله ﷺ:(ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه فيقول عز وجل انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟

الثاني: والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول عز وجل يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد؟

الثالث: والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء)(٣٢).

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- صحيح سنن النسائي (٤١٩١).
٢- متفق عليه.
٣- صحيح سنن أبي داود (٢٨٧٠).
٤- صحيح سنن أبي داود (٢١٣٣).
٥- صحيح سنن أبي داود (١٣٦٩).
٦- صحيح الجامع» ح (٨٠٣٧).
٧- حنه الألباني في صحيح الجامع» ح (١٨٨٠).
٨- الصحيحة برقم (٢٩٩٨).
٩- متفق عليه.
١٠- حسنه الألباني في الصحيحة (١٦٧٢).
١١- صححه الألباني في صحيح الجامع ح (١٨٨٦).
١٢- صححه الألباني صحيح الجامع ح (١٨٨٥).
١٣- حسنه الألباني في صحيح الجامع ح (٢٥٥).
١٤- صححه في صحيح الجامع»ح (٢١١).
١٥- صححه الألباني في صحيح الجامع (١٨١٤).
١٦- صححه الألباني في صحيح الجامع ح (١٨٨٩).
١٧- صححه الألباني في صحيح الجامع ح (٧٨٦٠).
١٨- صححه الألباني في سنن أبي داود ح(٤٠١٢).
١٩- صححه الألباني في الإرواء ح (٢٣٣٥).
٢٠- صححه الألباني في سنن أبي داود ح(٤٨٠٧).
٢١- صحيح البخاري ح (٥٥٦٥).
٢٢- رواه الإمام مسلم ح (١٣١).
٢٣- صححه الألباني الصحيحة ح (١٣٧٨).
٢٤- صححه الألباني في صحيح الجامع ح (١٧٤٤).
٢٥- حسنه الألباني في المشكاة ح (٤٤٨٧).
٢٦- حسنه الألباني في المشكاة ح(٤٤٨٧).
٢٧-رواه الإمام مسلم ح (٥٢٦٦).
٢٨- صححه الألباني في صحيح الجامع ح (١٨٨٨).
٢٩-صححه الألبانيفي الصحيحة ح (٣٦٤٤).
٣٠- صححه الألباني في الصحيحة ح (٣١٧٩).
٣١- حسن: حسنه العلامة الألباني - رحمه الله-: في «صحيح الجامع» ح (١٧٧٩).
٣٢- صحيح: صححه العلامة الألباني - رحمه الله-: في «الصحيحة» (ج٧) ح (٣٤٧٨).

الحلقة السادسة إعلام المصلين والولاة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وبعد:

فقد تحدثنا في الحلقة الماضية عن إمامة المحدث، وتوقفنا عند حكم صلاة المأمومين خلف المحدث، فتحدثنا عن الحكم في حالة العلم بحدث الإمام، وها نحن أولاء نتحدث عن بقية أحكام إمامة المحدث.

ثانيًا: في حالة الجهل بحدث الإمام:

فرق الفقهاء بين أمرين:

الأول: إذا كان الجهل بحدث الإمام في أي صلاة غير الجمعة.

إذا صلى المأمومون خلف إمام محدث ولم يعلموا بحدثه فإن صلاتهم صحيحة ولا إعادة عليهم.

دليله: نفس الأدلة التي ذكرناها عند الكلام عن «حالة العلم بحدث الإمام»، فإذا كان العلم بحدث الإمام بعد الفراغ من الصلاة لا يبطل صلاة المأمومين فمن باب أولى الجهل بحدث الإمام لا يبطل صلاتهم.

الثاني: إذا كان الجهل بحدث الإمام في صلاة الجمعة:

فرق الفقهاء بين أمرين:

الأمر الأول: إذا تم العدد الذي تنعقد به الجمعة بالإمام فالصلاة باطلة.

الأمر الثاني: إذا تم العدد الذي تنعقد به الجمعة بغير الإمام فالصلاة صحيحة.

إذا أحدث الإمام هل تنعقد الصلاة جماعة أم انفرادًا؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: تنعقد صلاة جماعة، قال الرافعي والأكثرون: حدث الإمام لا يمنع صحة الجماعة وثبوت حكمها في حق المأموم الجاهل حاله، ولا يمنع فضيلة الجماعة ولا غيره من أحكامها.

دليله: أن المأموم يعتقد صلاته جماعة وهو ملتزم لأحكامها، وقد بينا الحكم على اعتقاده وصححنا صلاته اعتمادًا على اعتقاده.

القول الثاني: أنها تنعقد صلاة فرادى.

دليله: لأن الجماعة لا تكون إلا بإمام مصلّ، وهذا ليس مصليًا.

ماذا يفعل المأموم إذا أحدث الإمام؟

إذا ذكر الإمام في أثناء صلاته أنه جنب أو محدث أو المرأة المصلية بنسوة أنها منقطعة حيض لم تغتسل، فقد اختلف الفقهاء فيما يفعل المصلون على آراء.

الرأي الأول: قال: إن كان موضع طهارته قريبًا أشار إليهم أن يمكثوا ومضى وتطهر وعاد وأحرم بالصلاة وتابعوه فيما بقي من صلاتهم ولا يستأنفونها، وإن كان بعيدًا أتموها ولا ينظرونه.

الرأي الثاني: قال الشافعي: «هم بالخيار إن شاؤوا أتموها فرادى، وإن شاؤوا قدموا أحدهم ليتمها بهم». ثم قال: «وأستحب أن يتموها فرادى». وذلك للخروج من الخلاف في صحة الاستخلاف.

الرأي الثالث: قال: «إنما يستحب لهم انتظاره إذا لم يكن مضى من صلاته ركعة».

الرأي الرابع: هو الرأي الأول، وذلك لحديث أبي بكرة السابق ذكره، وفيه: «فأومأ بيده أن مكانكم ثم جاء ورأسه يقطر فصلى بهم، فلما قضى الصلاة قال: إنما أنا بشر، وإني كنت جنبًا».

مسألة: ما الحكم في رجلين أم أحدهما الآخر فشم كل واحد منهما ريحًا أو سمع صوتًا يعتقده من صاحبه؟

قال أحمد: يتوضآن ويعيدان الصلاة، لأن كل واحد منهما يعتقد فساد صلاة صاحبه، فإذا أتما الصلاة على ما كانا عليه من غير فسخ النية قضي بفساد صلاتهما، وذلك لأن المأموم يعتقد أنه مؤتم بمحدث، والإمام يعتقد أنه يؤم محدثًا، وأما قول أحمد: يتوضآن لتصح صلاتهما جماعة ؛ إذ ليس لأحدهما أن يأتم بالآخر مع اعتقاده حدثه واحتياطًا، أما إذا صليا منفردين فلا يجب الوضوء على واحد منهما لأنه متيقنٌ للطهارة شاكٌ في الحدث.

الرأي الآخر: ينوي كل واحد منهما الانفراد ويتم صلاته.

رابعًا : إمامة المتنجس

إذا صلى الإمام بنجاسة فلا بد أن نفرق بين حالين:

الأولى: إذا كان الإمام والمأمومون معذورين فلم يستطيعوا اجتناب النجاسة لثوبهم وبدنهم فلا شيء عليهم، إذ أنه يشترط لصحة الصلاة اجتناب النجاسة لثوبه وبدنه وبقعته التي يصلي عليها مع القدرة، وذلك لقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم». [أخرجه أبو داود وصححه الألباني]. فإذا حُبس جماعة في مكان نجس وأصابت النجاسة أبدانهم وأثوابهم وبقعتهم التي يصلون عليها، فصلاتهم صحيحة ولا شيء عليهم، وذلك لعدم استطاعتهم إزالتها.

بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

الثانية: إذا كان الإمام والمأمومون غير معذورين، أي باستطاعتهم اجتناب النجاسة فهنا نفرق بين عدة أحوال:

الحالة الأولى : إن علم بالنجاسة في أثناء الصلاة

فإن استطاع إزالتها أزالها، وإن كان لا يمكنه إزالتها انصرف وأتم المأمومون صلاتهم، فإذا لم ينصرف بطلت صلاته وصلاة المأمومين إذا علموا، وهذه هي الحالة التي ينطبق عليها العنوان: «من تحرم إمامته»، فتحرم إمامة المتنجس العالم بالنجاسة وهو في الصلاة ولم يزلها أو لم يتمكن من إزالتها واستمر في الإمامة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لو كانت النجاسة في نعليه أو كانت في غترته أو كانت في قميصه وعليه سراويل فهذه يمكن إزالتها فيخلع القميص ولا يبقى عليه إلا السراويل، وسيستغرب المصلون ولكن لا يضر ولا حرج، والذي ينبغي أن يفعل الإنسان الشيء المشروع والناس إذا استنكروه أول مرة فلن يستنكروه في المرة الثانية». اهـ.

الحالة الثانية : إذا جهل النجاسة حتى أتم صلاته

الرأي الأول: يعيد الإمام صلاته ولا شيء على المأمومين لأنهم معذورون بالجهل.

دليله: لأن اجتناب النجاسة شرط من شروط صحة الصلاة، والقاعدة أنه إذا تخلف الشرط تخلف المشروط.

الرأي الثاني: لا يعيد الإمام صلاته ولا المأمومون.

دليله: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟» قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليصلِّ فيهما». (أخرجه أبو داود وصححه الألباني).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ لم يعد ما صلاه من صلاته وهو حامل للنجاسة، فدل ذلك على أن الذي يجهل النجاسة ثم يتذكرها فلا يعيد ما مضى من صلاته، وصلاته صحيحة لأنها لو بطلت لاستأنفها النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الرأي هو الراجح.

الحالة الثالثة : إذا علم بالنجاسة قبل الصلاة ثم نسيها أثناء الصلاة

مثال ذلك: رجل بال ابنه على ثوبه ولم يقم بإزالة النجاسة أو استبدال الثوب، ثم حان وقت الصلاة فدخل فيها وقد نسي أن الثوب نجس ثم تذكر بعد إتمام الصلاة فما حكم صلاته ؟

اختلف الفقهاء في هذه الحالة على رأيين:

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الرأي الأول: يرى إعادة الصلاة، وذلك لأنه فرط في ترك النجاسة ولم يقم بإزالتها على الفور.

الرأي الثاني: يرى عدم إعادة الصلاة وذلك لأن ما عذر فيه بالجهل عذر فيه بالنسيان كواجبات الصلاة ؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولقوله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

والمراد بالوضع رفع الإثم المترتب على التقصير في الإتيان بالمطلوب بسبب الخطأ أو النسيان أو الإكراه. وهذا الرأي هو الراجح.

الحالة الرابعة : إذا رأى عليه نجاسة بعد الصلاة وجوز حدوثها بعدها

فإذا صلى شخص ثم انصرف من صلاته ورأى عليه نجاسة وجوز حدوثها بعد الصلاة فما حكمه؟

لا شيء عليه ولا تلزمه الإعادة، وذلك لأن الأصل عدمها في الصلاة، والقاعدة أن اليقين لا يزول بالشك.

الفرق بين إمامة المحدث والمتنجس:

الفرق بينهما أن الإمام يعيد الصلاة إذا كان جاهلاً بالحدث، ولا يعيد الصلاة إذا كان جاهلاً بالنجاسة.

العلة في ذلك: قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: «إن الوضوء من الحدث من باب فعل المأمور واجتناب النجاسة من باب ترك المحظور، فإذا فعله جاهلاً فلا يلحقه حكمه». اهـ.

تتمة: أنواع النجاسات:

لابد من معرفة أنواع النجاسات حتى يستطيع الإنسان أن يتجنبها أو يزيلها إذا تلبس بها، وهي:

١- بول الآدمي وغائطه:

أما البول ؛ فلأن النبي ﷺ أمر بأن يراق على بول الأعرابي ذنوبًا من ماء. [رواه البخاري ومسلم].

وأما الغائط، فلحديث أبي سعيد الخدري السابق في خلع النبي ﷺ نعليه وهو في الصلاة لوجود النجاسة بهما، والأمر بالنظر أسفل النعلين فإن كان بهما خبثٌ فليدلكهما بالتراب.

٢- بول الصغير:

عن لبابة بنت الحارث قالت: «كان الحسين بن علي رضي الله عنه في حجر رسول الله ﷺ فبال عليه، فقلت: البس ثوبًا واعطني إزارك حتى أغسله». قال: «إنما يغسل من بول الأنثى وينضح من بول الذكر». [أخرجه أبو داود وقال عنه الألباني: حسن صحيح].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الحكمة في الدعوة

اتبعوا ولا تبتدعوا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالحكمة كلمة جليلة القدر، عظيمة الشأن، وقد بين أهل العلم أنها تُطلق على معانٍ كثيرة، فهي تطلق على النبوة والقرآن والسنة والعلم والفقه في الدين، كما تُطلق على العقل والورع، وهي في الأصل الأمر الذي يمنع من السفه، وعلى ذلك فكل كلمة ومقالة تردعك عن السفه وتزجرك عن الباطل فهي حكمة، وكل مقال واضح صريح صحيح في نفسه فهو حكمة.

والحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين، أو الترغيب أو الحلم، أو الرفق أو العفو، بل هي الإصابة في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان، وذلك بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، وتوضع الموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، كما قال عز وجل: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ويوضع الغلظة والزجر، والقوة، والشدة، والسيف في مواضعها، وهذا هو عين الحكمة، وقد قال أحكم الحاكمين لسيد الحكماء والناس أجمعين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، كل ذلك بإحكام وإتقان ومراعاة لأحوال المدعوين وأزمنتهم وأمكنتهم في مختلف العصور والبلدان وبإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان. (مجموع الفتاوى ٦٤٨٩، ومفتاح دار السعادة ١/ ١٩٤).

والحكمة هبة من الله تعالى وفضل يهبها الله لمن يشاء من عباده وأوليائه، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ...﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ومع ذلك فالداعية لكي يكون حكيمًا لابد أن يسلك سبل تحصيل الحكمة وهي لا تستقى إلا من الكتاب والسنة، وأهم طرق اكتساب الحكمة العلم النافع، والحلم والأناة والرفق واللين والإخلاص والتقوى والصبر والعمل بالعلم والاستقامة وجهاد النفس وعلو الهمة والعدل والدعاء والاستخارة والاستشارة.

ومما يوضح أن المرء يكتسب الحكمة بفضل الله تعالى ثم بلزوم السلوك الحكيم ما ذكر عن لقمان الحكيم، وذلك لما جاءه رجل فقال له: أنت لقمان، أنت عبد بني النحاس؟ قال: نعم. قال: فأنت راعي الغنم الأسود؟ قال لقمان: أما سوادي فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال: يا ابن أخي، إن أنت صنعت ما أقول لك كنت كذلك، قال: وما هو ؟ قال لقمان: غضي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، ووفائي بعهدي، وتكرمتي لضيفي، وحفظي جاري، وترك ما لا يعنيني، وذلك الذي صيرني كما ترى».

وسأله آخر عن السبب الذي بلغ به الحكمة، فقال: «قدر الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني».

[البداية والنهاية ٢ / ٢٢٤].

مواقف من الحكمة وأثرها الطيب في الفرد والأمة

هذه جملة من المواقف الحكيمة من عصر النبوة والخلافة الراشدة وعهد العلماء الأجلاء الذين ملئوا الدنيا نورًا وعلمًا وفضلاً أضعها أمام الدعاة لتكون نبراسًا ونورًا يهتدى به.

أولاً: حكمة النبي ﷺ ومواقف مشرفة

كان النبي ﷺ أحكم الناس، فقد كان يتألف الناس ليدخلوا في الإسلام ويصبر على أذاهم ويعفو عن إساءتهم ويقابلها بالإحسان، وله ﷺ مواقف لا تحصى في الكرم والجود والعفو والحلم والرفق والعدل، منها على سبيل المثال:

موقفه ﷺ مع ثمامة بن أثال (سيد أهل اليمامة)

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يُقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم

وواجب الدعاة

إعداد/ معاوية محمد هيكل

تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ، حتى كان من الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة». فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا والله، ولكنني أسلمت مع رسول الله، ولا واللهِ لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ» (البخاري مع الفتح ٨ / ٨٠).

ثم خرج رضي الله عنه إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل. (سيرة ابن هشام ٤ / ٣١٧).

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة ومنعه عن قريش الميرة ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين. (الإصابة ١ / ٢٠٣).

فما أحكم النبي محمدًا ﷺ، وما أعظمه من موقف، فقد كان النبي ﷺ يتألف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله عز وجل أن يعظموا أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًا في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه. [مسلم بشرح النووي ١٢ / ٨٩].

موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه، مه، قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه، دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن». قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه. وثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لقد حجرت واسعًا»، يريد رحمة الله.

وتفسر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا! فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «لقد تحجرت واسعًا». ثم لم

يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلواً من ماء، أو سجلاً من ماء». (أخرجه الترمذي).

قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه: فقام النبي ﷺ إليَّ بأبي وأمي، فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب. (أخرجه أحمد في المسند برقم ١٠٥٤٠).

فالنبي ﷺ أحكم خلق الله، فمواقفه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه ﷺ، ازداد يقينه وإيمانه بذلك.

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالاً تثير الغضب وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين، ولذلك قام الصحابة إليه واستنكروا أمره وزجروه، فنهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله.

وهذا في غاية الرفق والحلم والرحمة، ويجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي ﷺ بالحكمة على هذا الأعرابي عمله، فقال له حينما قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال ﷺ: «لقد حجرت واسعًا»، يريد ﷺ رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه.

وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح وما يقابلها من المفاسد، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل وتعليمه وما يلزمه من غير تعنيف ولا سب ولا إيذاء ولا تشديد إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا استخفافاً، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال بعد أن فقه- كما تقدم في رواية أحمد-: فقام النبي ﷺ إليَّ بأبي وأمي، فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب.

(فتح الباري ١ / ٣٢٥، والنووي ٣ / ١٩١).

موقفه ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي

من مواقف الحكمة ما فعله رسول الله ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، فقد أسلم الطفيل رضي الله عنه قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله عز وجل فأبوا عليه وعصوا وأبطئوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أن دوسًا هلكت وكفرت وعصت وأبت.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: «اللهم اهد دوسًا وائت بهم، اللهم اهد دوسًا وائت بهم».

وهذا يدل على حلم النبي ﷺ وصبره وتأنيه في الدعوة إلى الله عز وجل، فإنه ﷺ لم يعجل بالعقوبة أو الدعاء على من رد الدعوة، ولكنه ﷺ دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه ورفق بهم فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتًا من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر فأسهم لهم مع المسلمين. (سير أعلام النبلاء ١ / ٣٤٦، وزاد المعاد ٣ / ٦٢٦).

فما أعظمها من حكمة، أسلم بسببها ثمانون أو تسعون بيتًا، وهذا مما يوجب على الدعاة إلى الله عز وجل العناية بالحكمة في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله تعالى، ثم معرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

ثانياً: حكمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
عقب وفاة النبي ﷺ وأثرها في لم شمل الأمة

أصيب المسلمون يوم وفاة الرسول ﷺ بمصيبة عظيمة، وهزة عنيفة، أفقدت الكثير منهم صوابه، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر موت النبي ﷺ، وخرج إلى الناس وخطبهم، وقال: واللهِ ما مات رسول الله ﷺ وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم.

وأقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشيٌّ بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللهِ لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها، ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: أيها الحالف على رسلك، وقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فلما تكلم أبو بكر أقبل الناس إليه وتركوا عمر، فجلس عمر رضي الله عنه، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: أما بعد؛ فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال

الله- تعالى-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات.

وقال الراوي: فتلقاها الناس، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها ونشج الناس يبكون.

(انظر البخاري مع الفتح ٣ / ١١٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٥ / ٢٤١).

إن المصيبة عظيمة، والحادث جلل، ولكن أبا بكر رضي الله عنه- بفضل الله تعالى- قضى على الخلاف، وألف الله به بين القلوب، وثبتها، ولا يقدر على هذا إلا من أوتي قلبًا ثابتًا، وشجاعة فائقة، وعقلاً راجحًا، وحكمة بالغة، رضي الله عنه وأرضاه.

ثالثًا: من مواقف الحكمة للإمام مالك رحمه الله

من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها: موقفه مع من سأله عن الاستواء، فقد جاء إليه رجل وقال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: «الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة»، وأمر به فأخرج».

[أبو نعيم في الحلية ٦ / ٣٢٥].

وهذا موقف حكيم مسدد لأنه أجاب بالإجابة الصحيحة بعد التأمل والتفكر، فكانت هذه الإجابة قاعدة ثابتة لأهل السنة والجماعة تجري عليها صفات الله تعالى كلها، فالكيف للصفة مجهول لنا لا نعرف كيفيتها لأن الله لم يخبرنا بالكيفية، والصفة معلومة بدليلها من الكتاب والسنة الصحيحة، أو بأحدهما، والإيمان بالصفة- التي ثبتت بالدليل- واجب، والسؤال عن كيفية الصفة بدعة، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات، بل كل صفة من صفات الله تعالى تدل على معنى حقيقي نؤمن به ونثبته لله كما يليق بجلاله. (فتاوى ابن تيمية ٥ / ١٢١).

فرحم الله مالكًا، فقد نطق بالحكمة وطبق ما كان يقوله ورغب فيه الناس، فكان أولى به حيث قال: «بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة».

[سير أعلام النبلاء للذهبي ٨ / ١٠٩].

ولهذا قال الإمام الذهبي: إلى فقه مالك المنتهى، فعامة آرائه مسددة.

(سير أعلام النبلاء ٨ / ٩٢).

ولكن الإمام مالكًا قد أنصف حينما رسم للناس قاعدة يسيرون عليها، حيث قال: «كل أحد يؤخذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ».

[سير أعلام النبلاء للذهبي ٨ / ٩٣].

رابعًا: من المواقف الحكيمة للإمام الشافعي رحمه الله

للإمام الشافعي رحمه الله مواقف حكيمة تدل على حكمته وصدقه وإخلاصه، ومن مواقفه رحمه الله تعالى موقفه من أهل الكلام ودفاعه عن علم الكتاب والسنة، فقد غرس الشافعي في نفوس الناس بغض الكلام وأهله وحب الكتاب والسنة والتمسك بهما، حيث قال: «مذهبي في أهل الكلام تقنيع رءوسهم بالسياط وتشريدهم في البلاد».

(سير أعلام النبلاء للذهبي ص١٠ / ٢٩).

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي- وهو في مصر- فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي: أتدري أين أنت ؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قال: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة ؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجمًا في السماء؟ قال: لا، قال: فكوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فأخطأ فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤]. فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك.

فتاب الرجل على يد الشافعي من علم الكلام وأقبل على فقه الكتاب والسنة، وكان يقول بعد التوبة: «أنا خلق من أخلاق الشافعي».

(سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٩٢).

وقد أصبح هذا الرجل «المزني» علمًا من أعلام الإسلام في فقه الشافعي وهو الإمام العلامة علم الزهاد تلميذ الشافعي، وله المختصر في الفقه قد شرحه كثير من العلماء.

فهذه المواقف الحكيمة في الدفاع عن الكتاب والسنة، وذم الكلام وأهله، والرد عليهم بأسلوب الحكمة يدل دلالة واضحة على حكمة الشافعي رحمه الله.

فما أعظم ثمرات الحكمة وبركاتها على الفرد والأمة، فعلى الدعاة أن يأخذوا العبرة والعظة من هذه المواقف النبيلة وما أكثرها ويجعلوها نصب أعينهم حتى تثمر دعوتهم في واقع الناس، وتعم بركتها البلاد والعباد.

والله من وراء القصد.

إشهـــــار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع أنصار السنة المحمدية بالصالحية القديمة، بمركز فاقوس، محافظة الشرقية بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٥م، وذلك وفقًا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة.

جماعة أنصار السنة المحمدية - المركز العام - إدارة المعاهد وشئون التعليم

نتيجة مسابقة البحوث العلمية

أسماء الفائزين بجوائز البحوث

أولاً: أبحاث العقيدة

م	الاسم	م	الاسم
١-	رضا محمود أحمد حسين	٦-	حماد عبدالجليل البريدي
٢-	أحمد عبدالكريم مزيون غريب	٧-	أحمد عبدالله مزيد
٣-	هدى محمد نشأت الباجوري	٨-	أشرف محمود الشريف
٤-	أم عبدالله بنت راضي عبالعليم	٩-	هدى أحمد حامد على
٥-	أحمد جمعة عبدالحميد عثمان	١٠-	محمد عزت عبدالمحسن الجزار

ثانياً: أبحاث التفسير

م	الاسم
١-	السيد مختار
٢-	حمدي الصعيدي
٣-	محمد عطا الله
٤-	أحمد رفعت

ثالثاً: أبحاث الحديث

م	الاسم
١-	أشرف محمد محمد على الجيزاوي
٢-	كريم طارق أحمد عامر صبيح
٣-	خالد أحمد عبدالسلام الهندي
٤-	أحمد محمد عبدالغفار سرحان
٥-	على إسماعيل عباس القاضي

رابعاً: أبحاث الفقه

م	الاسم
١-	السيد على أحمد الصوري
٢-	أحمد المرسي حسين جوهر
٣-	حمدي عبدالعزيز كريم العداوي
٤-	حميدة عبدالكريم حميدة الحوني
٥-	نجية السيد محمد زيد رجب

وسيتم تكريم أصحاب الأبحاث العقدية الآتية أسماؤهم

م	الاسم
١-	مريم عبدالعظيم محمد السيد
٢-	محمد أحمد عبدالمنعم عطية
٣-	أوسة حامد المرسي
٤-	جيهان أحمد عثمان حسين
٥-	رضا عبدالمنعم أبو الغيط
٦-	عبدالرحمن بكر محمد

وسيقام حفل لتوزيع الجوائز على الفائزين وتكريم المشار إلى أسمائهم.

وذلك يوم الأحد ١٦ شعبان ١٤٢٩ هـ الموافق ١٧ / ٨ / ٢٠٠٨م - بالمركز العام -

«بعد صلاة الظهر مباشرة»


جمعية أنصار السنة المحمدية
إدارة الأيتام والتكافل الاجتماعي
هل تريد أن تكون جزءاً من مشروعنا الخيري
وتضرب لنفسك بسهم في الجنة ؟
كفالة اليتيم
زكاة المال
الصدقات العامة
الصدقة الجارية